

تفسير سورة الرعد

وهي مكية

الْمَرَّةَ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم في أول سورة البقرة ، وقدمنا أن كل سورة تبتدئ بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن ، وتبيان [أن نزوله]^[١] من عند الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا ريب ، ولهذا قال : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴾ أي : هذه آيات الكتاب وهو القرآن ، وقيل : التوراة والإنجيل ، قاله : مجاهد وقتادة ، وفيه نظر ، بل هو بعيد ثم عطف على ذلك عطف صفات ، فقال^[٢] : ﴿ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أي : يا محمد ﴿ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ ﴾ خبر تقدم مبتدؤه وهو قوله : ﴿ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ هذا هو الصحيح المطابق لتفسير مجاهد وقتادة ، واختار ابن جرير أن تكون الواو زائدة ، أو عاطفة صفة على صفة ، كما قدمنا ، واستشهد بقول الشاعر :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ^[٣] وَابْنِ الْهُمَامِ وَلَيْتَ الْكَتِيبَةَ فِي الْمُرْدَحِمِ
وقوله^[٤] : ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، كقوله : ﴿ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : مع هذا البيان والجلء والوضوح لا يؤمن أكثرهم ؛ لما فيهم من الشقاق والعناد والنفاق .

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ
تَوْقِنُونَ ﴿٢﴾

يخبر الله تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه : أنه^[٥] الذي يأذنه وأمره رفع السموات بغير عمد ، بل يأذنه وأمره وتسخييره رفعها عن الأرض بعدا لا تنال [ولا يدرك]^[٦] مداها ،

[٢] - في ز ، خ : « قوله » .

[٤] - سقط من : خ .

[٦] - في ز : ولا تدرك .

[١] - في ز : أنه نزل .

[٣] - في خ : « بلا نقط » .

[٥] - سقط من : خ .

فالسمااء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها ؛ من الماء والهواء ، من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها ، مرتفعة عليها من كل جانب على السواء ، وبعد ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام ، وسمكها [في نفسها مسيرة]^[١] خمسمائة عام ، ثم السماء الثانية محيطة بالسمااء الدنيا وما حوت ، وبينهما من البعد مسيرة خمسمائة عام ، وسمكها خمسمائة عام ، وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة ، كما قال تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ﴾ الآية .

وفي الحديث^(١) : « ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، والكرسي في العرش الجيد^[٢] كتلك الحلقة في تلك الفلاة » .

وفي رواية^(٢) : « والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل » .

وجاء عن بعض السلف^(٣) : أن بعد ما بين العرش إلى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة ، وبعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة ، وهو من ياقوتة حمراء .

وقوله : ﴿ بغير عمد ترونها ﴾ روي عن ابن عباس^(٤) ومجاهد والحسن وقتادة [وغير واحد]^[٣] أنهم قالوا : لها عمد ولكن لا ترى .

وقال إياس بن معاوية : السماء مقببة^[٤] على الأرض مثل القبة . يعني : بلا عمد ، وكذا روي عن قتادة ، وهذا هو اللائق بالسياق ، والظاهر من قوله تعالى : ﴿ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴾ فعلى هذا يكون قوله : ﴿ ترونها ﴾ تأكيداً لنفي ذلك ، أي : هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها وهذا هو الأكمل في القدرة ، وفي شعر أمية بن أبي الصلت : الذي آمن شعره وكفر قلبه كما ورد في الحديث^(٥) ، ويروى لزيد بن عمرو بن

(١) - تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ٢٥٥) ، (سورة النساء / آية ١٦٤) .

(٢) - تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ٢٥٥) .

(٣) - جاء ذلك بإسناد صحيح عن وهب بن منبه من كلامه فيما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٥/٢) - ومن طريقه أبو الشيخ في « العظمة » (٢٨٩/٢) - وابن أبي شيبة في « كتاب العرش » (٦٢) ، وانظر ما تقدم (سورة يونس / آية ٣) .

(٤) - أخرجه عبد الرزاق (٣٣١/٢) وابن جرير (٣٢٤، ٣٢٣/١٦) وابن أبي حاتم (١٢٠٨٩/٧) وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ - كما في « الدر المنثور » (٨١/٤) - من طرق عن ابن عباس .

(٥) - أخرجه ابن عبد البر في « التمهيد » (٧/٤) وابن عساكر في « التاريخ » (١١٧/٣) - مخطوط =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - زيادة من تفسير ابن جرير (٢٠٠٥٩/١٦) .

نفيل^(٦) - رضي الله عنه - .

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مَنْ وَرَحْمَةٍ
فَقُلْتُ لَهُ يَا اذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوا
وَقُولَا لَهُ هَلْ أَنْتَ سَوِيَّتْ هَذِهِ
[وقولا له أنت رفعت هذه]^[٢]
وقولا له هل أنت سويت وشطها
[وقولا له من يُزِيلُ الشمسُ غُدُوَّةً
وقولا له من يُنْبِتُ الحَبَّ فِي الثَّرَى
وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُءُوسِهِ

بَعَثْتُ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيًا
إِلَى اللَّهِ فَرَعُونَ الَّذِي كَانَ طَاغِيًا
[بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا]^[١]
بلا عمد أرفق^[٣] إذا بك بانيا
منيرًا إذا ما جئتكَ الليل هاديا
فيصبح ما مئت من الأرض ضاحيا]^[٤]
فيُضْهِجُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيًا
ففي ذاك آياتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيًا

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ تقدم تفسيره^[٥] في سورة الأعراف ، وأنه يمرر كما جاء من غير تكليف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ، تعالى الله علوا كبيرا .

وقوله : ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ قيل : المراد أنهما يجريان إلى انقطاعهما بقيام الساعة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ [ذلك تقدير العزيز العليم]^[٦] .

وقيل : المراد إلى مستقرهما ؛ وهو تحت العرش مما يلي بطن^[٧] الأرض من الجانب الآخر ، فإنهما وسائر الكواكب إذا وصلوا هنالك يكونون أبعد ما يكون عن العرش ؛ لأنه [على الصحيح]^[٨] الذي تقوم عليه الأدلة : قبة مما يلي العالم من هذا الوجه ، وليس بمحيط كسائر الأفلاك ؛ لأن^[٩] له قوائم وحملته يحملونه ، ولا يتصور [هذا في

= من حديث ابن عباس ، وفي إسناده أبو بكر الهذلي : أخبرني مترك ، وعزاه الحافظ في « الفتح » (٧/ ١٥٣) إلى الفاكهي وابن منده ، ونقل المصنف في « البداية والنهاية » (٢٨٧/٢) عن أبي محمد بن صاعد قال : « ... وأما الذي يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال في أمية : « آمن شعره وكفر قلبه » فلا أعرفه » والحديث في « الضعيفة » للألباني (٤/ رقم ١٥٤٦) . وأخرج البخاري (٣٨٤١) ومسلم (٣/ ٢٢٥٦) من حديث أبي هريرة مرفوعا « كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم » .

(٦) - هذه الآيات في « السيرة » لابن هشام (١/ ١٤٩) .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٥] - في خ : « تفسير ذلك » .

[٨] - في خ : « الفصيح » .

[٧] - سقط من ز .

[٩] - في ز : لأنه .

الفلك [١] المستدير ، وهذا واضح لمن تدبر ما وردت به الآيات والأحاديث الصحيحة ولله الحمد والمنة .

وذكر الشمس والقمر ؛ لأنهما أظهر الكواكب السيارة السبعة ، التي هي أشرف وأعظم من الثوابت ، فإذا كان قد سخر هذه فلأن يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريقتي الأولى والأخرى ، كما نبه بقوله تعالى : ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ مع أنه قد صرح بذلك [٢] بقوله : ﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ .

وقوله : ﴿ يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ أي : يوضح الآيات والدلالات الدالة على [٣] أنه لا إله إلا هو ، وأنه يعيد الخلق إذا شاء كما ابتداء خلقه .

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

لما ذكر تعالى العالم العلوي ، شرع في ذكر قدرته وحكمته وإحكامه للعالم السفلي ، فقال : ﴿ وهو الذي مد الأرض ﴾ أي : جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض ، وأرساها بجمال راسيات شامخات ، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون ؛ ليسقي [٤] ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال ، والطعوم والروائح ﴿ من كل زوجين اثنين ﴾ أي : من كل شكل صنفان .

﴿ يغشي الليل النهار ﴾ أي : جعل كلاً منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً ، فإذا ذهب هذا غشيه هذا ، وإذا انقضى هذا جاء الآخر ، فيتصرف أيضاً في الزمان كما يتصرف [٥] أيضاً [٦] في المكان والسكان .

[١] - هذه العبارة مكررة في : خ .

[٢] - في خ : « ذلك » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ . في ز : تصرف .

[٥] - سقط من : خ . في ز : تصرف .

[٦] - زيادة من : خ .

﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي : في آلاء الله وحكمته ودلائله .

وقوله : ﴿ وفي ^[١] الأرض قطع متجاورات ﴾ أي : أراض ^[٢] يجاور بعضها بعضاً ، مع ^[٣] أن هذه طيبة ^[٤] تنبت ما ينتفع به الناس ، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئاً . هكذا روي عن ابن عباس ^(٥) ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك [وغيرهم] .

وكذا يدخل ^[٥] في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض ، فهذه تربة حمراء وهذه بيضاء ، وهذه صفراء وهذه سوداء ، وهذه محجرة وهذه سهلة وهذه مرملة ، وهذه سميكة وهذه رقيقة ، والكل متجاورات ، فهذه بصفتها ^[٦] وهذه بصفتها ^[٧] الأخرى ، فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله : ﴿ وجنات من أعناب وزرع ونخيل ﴾ يحتمل أن تكون ^[٨] عاطفة على جنات فيكون ^[٩] ﴿ وزرع ونخيل ﴾ مرفوعين ^[١٠] ، ويحتمل أن يكون معطوفاً على أعناب فيكون مجروراً ، ولهذا قرأ بكل منهما طائفة من الأئمة .

وقوله : ﴿ صنوان وغير صنوان ﴾ الصنوان : هي الأصول المجمعة في منبت واحد ، كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك ، وغير الصنوان : ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار ، ومنه سمي عم الرجل صنو أبيه ، كما جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر : « أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه » ^(٨) .

وقال سفيان الثوري وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء رضي الله عنه : الصنوان هي النخلات في أصل واحد ، وغير الصنوان المتفرقات ^(٩) . وقاله ابن عباس ومجاهد والضحاك

(٧) - أخرجه ابن جرير (٣٣١/١٦) وابن أبي حاتم (١٢١٢/٧) من طرق عنه بأسانيد ضعيفة ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٨٣/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٨) - أخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : في تقديم الزكاة ومنعها (١١) (٩٨٣) ، وأبو داود ، كتاب : الزكاة ، باب : في تعجيل الزكاة (١٦٢٣) ، والترمذي ، كتاب : المناقب ، باب : مناقب العباس بن عبد المطلب (٣٧٦٤) وأحمد (٣٢٢/٢) من حديث أبي هريرة ، وانظر « الصحيحة » للألباني (٨٠٦/٢) .

(٩) - إسناده صحيح ، أخرجه ابن جرير (٣٣٦، ٣٣٥/١٦) وابن أبي حاتم (١٢١٢٤/٧) والأخير من طريق سفيان فقط وله طرق أخرى عن أبي إسحاق عند ابن جرير وزاد نسبته السيوطي في « الدر =

- | | |
|------------------------------|--------------------------|
| [٢] - في خ : « أرض » . | [١] - سقط من : خ . |
| [٤] - في خ : « مطيبة » . | [٣] - في خ : « من » . |
| [٦] - في خ : « نصفها » . | [٥] - في خ : « يدل » . |
| [٨] - في خ : « يكون » . | [٧] - في خ : « نصفها » . |
| [١٠] - في خ : « مرفوعتين » . | [٩] - في خ : « فتكون » . |

وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقوله ﴿ تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾ قال الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ ونفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾ قال : « الدقل والفارسي والخلو والحامض »^(١٠) . رواه الترمذي وقال : حسن غريب .

أي : هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزرع ؛ في أشكالها وألوانها ، وطعومها وروائحها ، وأوراقها وأزهارها^[١] ، فهذا في غاية الحلاوة ، وذا في غاية الحموضة ، وذا في غاية المرارة وذا عفص ، وهذا عذب ، وهذا جمع هذا وهذا ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى ، وهذا أصفر وهذا أحمر وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق ، وكذلك الزهورات مع أنها^[٢] كلها تستمد من طبيعة واحدة^[٣] وهو الماء ، مع هذا الاختلاف الكثير الذي لا ينحصر ولا ينضب ، ففي ذلك آيات لمن كان واعياً ، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار ، الذي بقدرته فاوت بين الأشياء ، وخلقها على ما يريد ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ .

❖ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ يَخْلُقْ جَدِيدٌ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ وَأَوَلَيْكَ الْأَعْغُلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَأَوَلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ

= المنشور « (٨٣/٤) إلى الفريابي وسعيد بن منصور ، وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .
(١٠) - ضعيف ، أخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الرعد » (٣١١٧) ، وابن جرير (٢٠١٢٦/١٦) وأبو يعلى في « المعجم » (٣٠١) وابن عدي في « الكامل » (١٢٧٠/٣) والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٢٦/٩) وابن الجوزي في « العلل المنتهية » (١٠٩٢/٢) والعقيلي في « الضعفاء » (١٣١/٢) والمزي في « تهذيب الكمال » (٣٣١/١٢) من طريق محمود بن خدش ثنا سيف بن محمد الثوري عن الأعمش به ، وسيف بن محمد هذا كذبه يحيى بن معين وأبو داود وتركه النسائي والدارقطني ، ولذا قال ابن الجوزي : « هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وسيف متفق على كذبه ، قال أحمد بن حنبل : كان يضع الحديث . وقد تابعه زيد بن أبي أنيسة عن الأعمش به أخرجه ابن جرير (٢٠١٢٧/١٦) وابن عدي والعقيلي من طريق سليمان بن عبيد الله الخطاطب عن عبيد الله ابن عمرو عن زيد به وقال العقيلي : لم يأت به - يعني بهذا الإسناد - غير سليمان » قلت : وهو ليس بالقوي - كما قال النسائي ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقد أخطأ في هذا الإسناد فقال أبو حاتم في « العلل » (١٧٣٣/٨٠/٢) : « حدث سليمان بهذا الحديث وأنا بالكوفة فلم يقض لي السماع منه ثم رجع عنه ، فقال : حدثنا به سيف بن محمد بن أحمد بن سفيان أخو عمار ، وسيف ضعيف الحديث » ، والحديث زاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » (٥٨/٤) إلى البزار وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

[٢] - في خ : « أن » .

[١] - في خ : « وزهورها » .

[٣] - في خ : « واحد » .

هَمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ ﴾ من تكذيب هؤلاء المشركين بأمر المعاد ، مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ، ودلالاته في خلقه على أنه القادر على ما يشاء ، ومع ما يعترفون به من أنه ابتداء خلق الأشياء ، فكونها بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً ، ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في أنه سيعيد العالمين خلقاً جديداً ، وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به ، فالعجب من قولهم : ﴿ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَتَنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ وقد علم كل عالم وعافل : أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، وأن من بدأ الخلق فالإعادة سهلة عليه ، كما قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١].

ثم نعت المكذبين بهذا فقال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾ [أي : يسحبون بها في النار] [٢] ﴿ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أي : ما كانوا فيها أبداً لا يحولون عنها ولا يزولون .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾

يقول تعالى ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾ أي : هؤلاء المكذبون ﴿ بالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ أي : بالعقوبة ، كما أخبر عنهم في قوله : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * مَا نَنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾ الآيتين .

وقال تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ ، وقال : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ ، ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قُطْنَا ﴾ الآية ، أي : عقابنا وحسابنا ، كما قال مخبراً عنهم : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ الآية ، فكانوا [من شدة تكذيبهم وعنادهم وكفرهم] يطلبون [] [٣] أن

[١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شيء قدير » .

[٢] - في ز : من الرسول .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

يأتيهم بعذاب الله .

قال الله تعالى : ﴿ وقد خلت من قبلهم المثلثات ﴾ أي : قد أوقعنا نقمنا بالأثم الخالية ، وجعلناهم مثله^[١] عبرة وعظة [لمن انتعظ] بهم .

ثم أخبر تعالى : أنه لولا حلمه وعفوه لعاجلهم بالعقوبة ، كما قال تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس [بما كسبوا]^[٢] ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ .

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ أي : [أنه تعالى] ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار ، ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ؛ ليعتدل الرجاء والخوف ، كما قال تعالى : ﴿ فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ﴾ ، وقال : ﴿ إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾ ، وقال : ﴿ نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ إلى أمثال ذلك من الآيات التي تجمع الرجاء والخوف .

وقال ابن أبي حاتم^(١١) : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا [أحدنا العيش]^[٣] ، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد » .

وروى الحافظ ابن عساكر^(١٢) في ترجمة الحسن بن عثمان أبي حسان الزياتي^[٤] : أنه رأى رب العزة في النوم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بين يديه يشفع في رجل من أمته ، فقال له : ألم يكفك أني أنزلت عليك في سورة الرعد : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ قال : ثم انتبهت .

(١١) - مرسل وإسناده ضعيف تفسير ابن أبي حاتم (١٢١٤٥/٧) ، وعلى بن زيد هو ابن جذعان ، ضعيف وأخرج البزار (٣٢٥٦/٤ - كشف) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً « لو تعلمون قدر رحمة الله عز وجل ، لاتكلمتم وما علمتم من عمل ولو علمتم قدر غضبه ما نفعمكم شيء » وحسنه الألباني « الصحيحة » (٢١٦٧/٥) .

(١٢) - « تاريخ دمشق » (٤٧١/٤ - مخطوط) .

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « بظلمهم » . [٣] - في خ : « لأحد عيشاً » .

[٤] - في ز ، خ : « الرمادي » .

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّ مَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ

هَادٍ ﴿٧﴾

يقول تعالى لإخبارًا عن المشركين : أنهم يقولون كفروا وعنادًا لولا يأتيها آية [من ربه]^[١] كما أرسل الأولون ، كما تعتنوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهبًا ، وأن يزيل عنهم الجبال ويجعل مكانها مروجًا وأنهارًا [قال تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ الآية]^[٢] . قال الله تعالى : ﴿ إنما أنت منذر ﴾ أي : إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التي أمرك بها^[٣] ، و ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ .

وقوله : ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ قال علي بن أبي طلحة^(١٣) ، عن ابن عباس : أي ولكل قوم داع .

وقال^[٤] العوفي^(١٤) ، عن ابن عباس في تفسيرها : يقول الله تعالى : أنت يا محمد منذر وأنا هادي كل قوم .

و^[٥] كذا قال مجاهد^[٦] وسعيد بن جبيرة والضحاك [وغير واحد]^[٧] .

وعن مجاهد : ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ أي : نبي . كقوله : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد .

وقال أبو صالح ويحيى بن رافع : ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ أي : قائد ، وقال أبو العالية : الهادي : القائد ، والقائد : الإمام ، والإمام : العمل .

وعن عكرمة وأبي الضحى : ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال مالك : ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ من يدعوهم إلى الله عز وجل .

(١٣) - أخرجه ابن جرير (٢٠١٦٢/١٦) ، وعلي بن أبي طلحة يرسل عن ابن عباس ، ولم يره لكن أفاد أبو حاتم أن بينهما مجاهد والقاسم بن محمد « جامع التحصيل » للعلائي (ص ٢٤١) .

(١٤) - أخرجه ابن جرير (٢٠١٤٦/١٦) ، وعطية العوفي ، ضعيف .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفين زيادة من : ت .

[٣] - في خ : « الله » .

[٤] - في ز ، خ : « قال » .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - في خ : « محمد » .

[٧] - زيادة من : ت .

وقال أبو جعفر بن جرير^(١٥) : حدثني أحمد بن يحيى الصوفي ، حدثنا الحسن بن الحسين الأنصاري ، حدثنا معاذ بن مسلم ، بباع^[١] الهروي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قال : وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره ، وقال : « أنا المنذر ولكل قوم هاد » وأوماً بيده إلى منكب علي . فقال : « أنت الهادي يا علي ، بك يهتدي المهتدون من بعدي » .

وهذا الحديث فيه نكارة شديدة .

وقال ابن أبي حاتم^(١٦) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا المطلب بن زياد ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قال : الهادي رجل من بني هاشم . قال الجنيد : هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن عباس في إحدى الروايات ، وعن أبي جعفر محمد بن علي نحو ذلك .

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ

(١٥) - منكر تفسير ابن جرير (٢٠١٦١/١٦) وأخرجه ابن الأعرابي ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٣٠٦/١٢) مخطوط) من طريق الفضل بن يوسف الجعفي ، ثنا الحسن بن الحسين الأنصاري به ، والحسن هذا ، قال فيه أبو حاتم : لم يكن بصدوق عندهم ، وكان من رؤساء الشيعة ، وقال ابن عدي : لا يشبه حديثه حديث الثقات ، وقال ابن حبان : يأتي عن الأثبات بالملزقات ، ويروى المقلوبات ؛ ومعاذ بن مسلم ، قال أبو حاتم مجهول ، وقال الذهبي في « الميزان » عقب هذا الخبر : « ومعاذ نكرة ، فلعل الآفة منه » . قلت : بل الآفة من كليهما ، الحسن ومعاذ واستغربه ابن حجر في « الفتح » (٣٧٦/٨) غير أنه حسن إسناده ، مع أنه استنكره للحسن بن الحسين وقال في معاذ بن مسلم : « مجهول وله عن عطاء بن السائب خبر باطل » انظر « لسان الميزان » (٢/٢٤٤٥) ، (٦/٨٥١٠) وأخرجه الضياء في « المختارة » (١٥٨/١٠) من طريق آخر عن سعيد بن جبير به نحوه ، وفي إسناده من لم أجد لهم ترجمة .

(١٦) - تفسير ابن أبي حاتم (١٢١٥٢/٧) وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد « المسند » (١٠٤١) (١/١٢٦) والطبراني في « الأوسط » (١٣٦١/٢) وفي « الصغير » (٢٦١/١) والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٧٢/١٢) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٦/١٢ - مخطوط) من طريق عثمان بن أبي شيبة به ، والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٤/٧) وقال : « رواه عبد الله بن أحمد والطبراني في « الصغير » و « الأوسط » ورجال المسند ثقات » وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في حاشيته =

عِنْدُهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾

يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء، وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أي: ما حملت من ذكر أو أنثى^[١]، أو حسن أو قبيح، أو شقي أو سعيد، أو طويل العمر أو قصيره، كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ أي: خلقكم طورًا من بعد طور، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال^(١٧): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنْ خُلِقَ أَحَدُكُمْ يَجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ^[٢] فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتِبَ رِزْقُهُ وَعَمْرُهُ وَعَمَلُهُ وَشَقِي أَوْ سَعِيدٌ» وفي الحديث الآخر^(١٨): «فَيَقُولُ الْمَلَكُ: أَيُّ رَبٍّ، أَذَكَرٌ أَمْ أَنْثَى؟ أَيُّ رَبٍّ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ».

= على «المسند» مع أنه من طريق الشدي واسمه إسماعيل بن عبد الرحمن وهو صدوق يهم، ورمى بالتشيع، ومثله لا يحتمل مثل هذا المتن كما يعلم من أقوال بعض النقاد فيه انظر «التهذيب». وأخرجه الحاكم (١٢٩/٣-١٣٠) وابن عساكر من طريق حسين بن حسن الأشقر ثنا منصور بن أبي الأسود عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله الأسدي عن علي بن نوحه وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» فتعقبه الذهبي بقوله: «بل كذب قبح الله واضعه».

قلت: عباد الأسدي، ضعفه ابن المديني، وقال البخاري، فيه نظر، وحسين الأشقر، قال البخاري: فيه نظر وعنده مناكير، وقال أبو زرعة: منكر الحديث وقال أبو حاتم والنسائي والدارقطني: ليس بالقوى، فالأفة منهما، لاسيما وفيهما تشيع غالٍ نسأل الله السلامة.

(١٧) - أخرجه البخاري: كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة (٣٢٠٨)، ومسلم، كتاب: القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي.. (٢٦٤٣) ولفظ المصنف مغاير له في بعض الأحرف، وأقرب له لفظ أبي داود، كتاب: السنة، باب: القدر (٤٧٠٨)، والحديث أخرجه أيضًا الترمذي، كتاب: القدر، باب: ما جاء في أن الأعمال بالخواتيم (٢١٣٨) والنسائي في «التفسير» (١١٢٤٦/٦) وابن ماجه في «المقدمة»: باب: في القدر (٧٦) وأحمد (٤٣٠، ٣٨٢/١).

(١٨) - يأتي تخريجه (سورة المؤمنون آية ١٦).

[٢] - في خ: «الملك».

[١] - في ت: «و».

وقوله : ﴿ وما تغيض الأرحام وما تزداد ﴾ قال البخاري^(١٩) : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا معن ، حدثنا مالك ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها^[١] إلا الله ؛ لا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله » .

وقال العوفي^(٢٠) ، عن ابن عباس : ﴿ وما تغيض الأرحام ﴾ يعني السقط ﴿ وما تزداد ﴾ يقول : ما زادت الرحم في الحمل على ما غاضت حتى ولدته تمامًا ، وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ومنهن من تحمل تسعة أشهر ، ومنهن من تزيد في الحمل ومنهن من تنقص ، فذلك الغيض والزيادة التي ذكر الله تعالى ، وكل ذلك بعلمه تعالى .

وقال الضحاك^(٢١) : عن ابن عباس في قوله : ﴿ وما تغيض الأرحام وما تزداد ﴾ قال : ما نقصت عن تسعة وما زاد عليها .

وقال الضحاك : وضعتني أمي وقد حملتني في بطنها ستين ، وولدتني وقد نبئت ثنيتي .
وقال ابن جريج^(٢٢) : عن جميلة بنت سعد ، عن عائشة قالت : لا يكون الحمل أكثر من ستين قدر ما يتحرك^[٢] ظل مغزل .

وقال مجاهد : ﴿ وما تغيض الأرحام وما تزداد ﴾ قال : ما ترى من الدم في حملها ،

(١٩) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ﴾ (٤٦٩٧) ، وأخرجه أيضًا كتاب الاستسقاء ، باب : لا يدري متى يجيء المطر إلا الله - (١٠٣٩) ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا ... ﴾ (٧٣٧٩) والنسائي في التفسير من « الكبرى » (١١٢٥٨/٦) وأحمد (٥٨،٥٢،٢٤/٢) من طرق عن عبد الله بن دينار به ، وانظر ما تقدم (سورة الأنعام / آية ٥٩) وما يأتي (سورة لقمان / آية ٣٤) .

(٢٠) - أخرجه ابن جرير (٢٠١٦٤/١٦) وعطية العوفي ، ضعيف .

(٢١) - أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٦٢/٧) والضحاك لم يسمع من ابن عباس ، لكن أفاد غير واحد أن بينهما سعيد بن جبير .

(٢٢) - إسناده فيه جهالة أخرجه سعيد بن منصور في « السنن » (٢/رقم ٢٠٧٧) - ومن طريقه البيهقي في « الكبرى » (٤٤٣/٧) - وابن جرير في تفسيره (٢٠١٩١/١٦) والدارقطني في « السنن » ، (٣/٣٢٢، ٣٢١) من طريق داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج به وعلقه ابن حزم في « المحلى » (٣١٦/١٠) من طريق سعيد بن منصور ، وقال : « جميلة بنت سعد مجهولة ، لا يدري من هي » قلت : أفاد =

[١] - في خ : « يعلمهن » .

[٢] - في ابن جرير وغيره : يتحوّل . وهو الأشبه .

وما تزداد على تسعة أشهر . وبه قال عطية العوفي والحسن البصري وقتادة والضحاك .

وقال مجاهد أيضًا : إذا رأت المرأة الدم دون التسعة زاد على التسعة مثل أيام الحيض .
وقاله [١] عكرمة وسعيد بن جبير وابن زيد .

وقال مجاهد أيضًا : ﴿ وما تغيض الأرحام ﴾ إراقة المرأة حتى يخس [٢] الولد ﴿ وما تزداد ﴾ إن لم تهرق المرأة تم الولد وعظم .

وقال مكحول : الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم ، وإنما يأتيه رزقه في بطن أمه من دم حيضتها ، فمن ثم لا تحيض الحامل ، فإذا وقع إلى الأرض استهل ، واستهلالة استنكار [٣] لمكانه ، فإذا قطعت سرتة حول الله رزقه إلى ثديي أمه ، حتى لا يحزن ولا يطلب ولا يغتم ، ثم يصير طفلاً يتناول الشيء بكفه فيأكله ، فإذا هو بلغ قال : هو الموت أو القتل أنى لي بالرزق ؟ فقال مكحول : يا ويلك ! غذاك وأنت في بطن أمك وأنت طفل صغير ، حتى إذا اشتدت وعقلت قلت : هو الموت أو القتل أنى لي بالرزق ؟ ثم قرأ مكحول : ﴿ الله [٤] يعلم ما تحمل كل أنثى ﴾ الآية .

وقال قتادة : ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ أي : بأجل ، حفظ أرزاق خلقه وآجالهم ، وجعل لذلك أجلاً معلوماً . وفي الحديث الصحيح (٢٣) : أن إحدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم بعثت إليه أن ابناً لها في الموت ، وأنها تحب أن يحضره [٥] ، فبعث إليها يقول : « إن لله ما أخذ وله [٦] ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فمروها فلتصبر ولتحتسب » . الحديث بتمامه .

وقوله : ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ أي : يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب

= الدارقطني أنها أخت عبيد بن سعد - وهو أبو امرأة ابن جريج كما في « الجرح والتعديل » (٤٠٧/٥) لكنه لم يتكلم فيها بجرح ولا تعديل فهي مجهولة الحال وفي الإسناد . أيضًا عن ابن جريج .

(٢٣) - أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تبارك وتعالى ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ (٧٣٧٧) - وانظره بأطرافه عند رقم (١٢٨٤) - ومسلم : كتاب : الجنائز ، باب : البكاء على الميت (١١) (٩٢٣) وأبو داود ، كتاب : الجنائز ، باب : في البكاء على الميت (٣١٢٥) ، النسائي : كتاب : الجنائز : باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة (٢١/٤-٢٢) ، وابن ماجه ، كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء في البكاء على الميت (١٥٨٨) وأحمد (٢١٨٦٧) (٢٠٤/٥) وفي مواضع آخر من حديث أسامة بن زيد .

[١] - في خ : « وقال » . [٢] - في ز ، خ : « يحسن » .

[٣] - في ابن أبي حاتم (١٢١٧٠/٧) : استنكاراً . [٤] - سقط من : خ .

[٥] - في خ : « تحضره » . [٦] - في خ : « ولله » .

عنهم ، ولا يخفى عليه منه شيء ﴿الكبير﴾ الذي هو أكبر من كل شيء ﴿المتعال﴾ أي : على كل شيء ﴿قد أحاط بكل شيء علماً﴾ وقهر كل شيء فخضعت له الرقاب ، ودان له العباد طوعاً وكرهاً .

سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِالنُّيُوتِ وَسَارِبٍ
بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَكُمْ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ
لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ﴿١١﴾

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه ، و^[١] سواء منهم من أسر قوله أو جهر به ، فإنه يسمعه لا يخفى عليه شيء ، كقوله : ﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ﴾ ، وقال : ﴿ ويعلم ما تخفون وما تعلنون ﴾ ، وقالت عائشة رضي الله عنها^(٢٤) : سبحانه الذي وسع سمعه الأصوات ، والله لقد^[٢] جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا^[٣] في جنب البيت وأنه ليخفى علي بعض كلامها ، فأنزل الله : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ .

وقوله : ﴿ ومن هو مستخف بالليل ﴾ أي : مختف في قعر بيته في ظلام الليل ﴿ وسارب بالنهار ﴾ أي : ظاهر ماش في بياض النهار وضياؤه ، فإن كليهما^[٤] في علم الله على السواء ، كقوله تعالى : ﴿ ألا حين يستغشون ثيابهم [يعلم ما يسرون وما يعلنون] ﴾^[٥] ، وقوله^[٦] تعالى : ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ .

وقوله : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ أي : للبعد ملائكة يتعاقبون عليه ، حرس بالليل وحرس بالنهار ، يحفظونه من الأسواء والحادثات ، كما

(٢٤) - صحيح ، ويأتي تخريجه (سورة المجادلة / آية ١) .

[١] - في ت : « وأنه » .

[٢] - في خ : « قد » .

[٣] - زيادة من : ت .

[٤] - في خ : « كلاهما » .

[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .

[٦] - في ز ، خ : « وقال » .

يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال ، من خير أو شر ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، فائنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال ، صاحب اليمين يكتب الحسنات ، وصاحب الشمال يكتب السيئات ، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه ، واحد من ورائه وآخر من قدماه ، فهو بين أربعة أملاك بالنهار ، وأربعة آخرين بالليل بدلاً حافظان وكتابتان كما جاء في الصحيح^(٢٥) : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصلدون إليه الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بكم^[١] كيف تركتم عبادي؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون » . وفي الحديث الآخر^(٢٦) : « إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع ، فاستحيوهم^[٢] وأكرمهم » .

وقال علي بن أبي طلحة^(٢٧) ، عن ابن عباس [في قوله]^[٣] : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ والمعقبات []^[٤] من أمر^[٥] الله وهي الملائكة .

وقال عكرمة^(٢٨) ، عن ابن عباس : ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ قال : ملائكة يحفظونه

(٢٥) - أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب : قصر الصلاة في السفر : باب : جامع الصلاة (٨٢) ومن طريقه البخاري ، كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : فضل صلاة العصر (٥٥٥) ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاتي الصبح والعصر والحفاظة عليهما (٢١٠) (٦٣٢) والنسائي ، كتاب : الصلاة ، باب : فضل صلاة الجماعة (٢٤٠/١-٢٤١) وفي الكبرى (٤٥٩/١) و (٧٧٦٠/٤) وأحمد (٢/٤٨٦) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً به ولفظ المصنف مغاير في بعض الأحرف لنص الحديث عندهم .

(٢٦) - ضعيف ، أخرجه الترمذي ، كتاب : الأدب ، باب : ما جاء في الاستئذان عند الجماع (٢٨٠١) من طريق ليث - ابن أبي سليم - عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً فذكره وقال الترمذي . « حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » قلت : علته ليث هذا : قال الحافظ في « التقريب » صدوق اختلط جداً ، ولم يتميز حديثه فترك « واضطرب فيه فأخرجه البيهقي في « الشعب » (٧٧٣٩/٦) من طريقه عن محمد بن عمرو عن أبيه عن زيد بن ثابت مرفوعاً به ، وضعفه البيهقي ، وعلقه البغوي في « شرح السنة » (٢٥/٩) بصيغة التمریض مستغرباً إسناده .

(٢٧) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢١٥/١٦) وابن أبي حاتم (١٢١٩٨/٧) .

(٢٨) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢١٦/١٦، ٢٠٢١٧) وابن أبي حاتم (١٢١٩٦/٧) وعبد الرزاق (٣٣٢/٢) من رواية سماك عن عكرمة به وهذه رواية مضطربة وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٩١/٤) إلى الفريابي وابن المنذر .

[١] - كذا ، وفي جميع المصادر التي وقفت عليها : « بهم » . وهو الأشبه بالصواب .

[٢] - في خ : « فاستحيوا » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في تفسير ابن جرير : [هن] .

من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر الله خلّوا عنه .

وقال مجاهد : ما من عبد إلا له^[١] ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ ، فما منها^[٢] شيء يأتيه يريده إلا قال له الملك : وراءك ، إلا شيء^[٣] [أذن الله فيه]^[٤] فيصيبه .

وقال الثوري^(٢٩) ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس [في قوله]^[٥] : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه ﴾ قال : ذلك ملك من ملوك الدنيا ، له حرس من دونه حرس .

وقال العوفي^(٣٠) ، عن ابن عباس : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه ﴾ يعني ولي الشيطان يكون عليه الحرس . وقال عكرمة في تفسيرها : هؤلاء الأمراء الموابك من بين يديه ومن خلفه . وقال الضحاك في الآية : هو السلطان المحترس^[٦] من أمر^[٧] الله وهم^[٨] أهل الشرك . والظاهر والله أعلم أن مراد ابن عباس وعكرمة والضحاك بهذا أن حرس الملائكة للعبيد يشبه حرس هؤلاء للملوكهم وأمرائهم .

وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير ههنا حديثاً غريباً جداً فقال^(٣١) : حدثني المثني ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيري ، حدثنا علي بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العدوي قال : دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ فقال : « ملك عن^[٩] يمينك []^[١٠] على حسناك ، وهو أمر^[١١] على الذي على الشمال ، فإذا^[١٢] عملت حسنة كتبت عشرًا ، وإذا^[١٣] عملت سيئة قال الذي على

(٢٩) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٢٦/١٦) ورجاله ثقات ، رجال الشيخين إلا أن حبيب بن أبي ثابت كثير الإرسال والتدليس .

(٣٠) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٢٧/١٦) وعطية العوفي ، ضعيف .

(٣١) - إسناده فيه جهالة وانقطاع تفسير ابن جرير (٢٠٢١١/١٦) وكنانة وهو ابن نعيم العدوي ، لم =

[١] - في خ : « به » . [٢] - في ابن جرير شيطاناً .

[٣] - في خ : « يأذن الله » . [٤] - سقط من : ت .

[٥] - في خ : « الحرس » . [٦] - في خ : « وهو » .

[٧] - ساقطة من ابن جرير (٢٠٢٣٠/١٦) . [٨] - في ت : « علي » .

[٩] - في ز ، خ : وملك . [١٠] - في ابن جرير : أمين .

[١١] - في ز ، خ : « إذا » . [١٢] - في ز ، خ : « فإذا » .

[١٣] - في ز ، خ : « فإذا » .

الشمال للذي على اليمين : أكتب ؟ قال : لا ؛ لعله يستغفر الله ويتوب ، فيستأذنه ثلاث مرات ، فإذا قال ثلاثاً قال : نعم اكتب^[١] أراحنا الله منه فبئس القرين ، ما أقل مراقبته لله وأقل استحياءه منا ، يقول الله ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ وملكان من بين يديك ومن خلفك ، يقول الله تعالى ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه ﴾ [يحفظونه من أمر الله]^[٢] ، وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت لله رفعك ، وإذا تجبرت على الله قصمك ، وملكان على شفيتك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك ، وملكان على عينيك ، فهؤلاء عشرة أملاك على [كل آدمي]^[٣] ، ينزلون^[٤] ملائكة الليل على ملائكة النهار ؛ لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار ، فهؤلاء عشرون ملكاً على [كل آدمي]^[٥] ، وإبليس بالنهار وولده بالليل .

وقال الإمام أحمد رحمه الله^(٣٢) : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا سفيان ، حدثني منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أبيه ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة » . قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : « وإياي ، ولكن أعاني الله عليه فلا يأمرني إلا بخير » . انفرد بإخراجه مسلم .

وقوله : ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ [قيل : المراد حفظهم له من أمر الله]^[٧] ، رواه علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس ، وإليه ذهب مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم وقال قتادة : ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ قال : وفي بعض القراءات يحفظونه

= يذكر أنه أدرك عثمان بن عفان أو روى عنه ، وإبراهيم بن عبد السلام لم أجد له ذكراً في كتب الرجال ، وشيخه علي بن جرير لا يدرى من هو أيضاً إلا أن ابن أبي حاتم ترجم في « الجرح والتعديل » (١٧٨/٦) : « على بن جرير البارودي روى عن ... - كذا يياض بالأصل - سئل أبي عن علي بن جرير البارودي ، فقال : صدوق » .

(٣٢) - صحيح « المسند » ، (٣٩٧/١) إلا أن لفظه مغاير في بعض الأحرف لما هنا ، وأقرب منه ما أخرجه أحمد أيضاً (٤٠١/١) لكن من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان به وأخرجه أيضاً (٤٦٠، ٣٨٥/١) ومسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : تحريش الشيطان ، وبعثه سراياه لفتنة الناس ... (٦٩) (٢٨١٤) من طريق سفيان وغيره عن منصور به .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٣] - في خ : « بني آدم » .

[٥] - في خ : « بني آدم » .

[٤] - في خ : « يبدلون » .

[٧] - سقط من : خ .

[٦] - في المسند : عن .

بأمر الله . وقال كعب الأحبار : لو تجلّى لابن آدم كل سهل وحزن لرأى على^[١] كل شيء من ذلك شياطين^[٢] ، لولا أن الله وكل بكم ملائكة يذبّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذا لثُخِطُفتم . وقال أبو أمامة : ما من آدمي إلا ومعه ملك موكل^[٣] يذود عنه حتى يسلمه للذي قدّر له .

وقال أبو مجلز : جاء رجل من مُرادٍ إلى علي ، رضي الله عنه ، وهو يصلي ، فقال : احترس ؛ فإن ناماً من مراد يريدون قتلك ؛ فقال : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدّر ، فإذا جاء القدرُ خَلِيا بينه وبينه ، إن الأجلُ جُنَّةٌ حصينةٌ .

وقال بعضهم : ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ بأمر الله ، كما جاء في الحديث أنهم قالوا : يا رسول الله ، أرأيت رقى نسترقى بها هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال : « هي من قدر الله »^(٣٣) .

وقال ابن أبي حاتم^(٣٤) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حفص بن غياث ، عن

(٣٣) - أخرجه الترمذي (٢١٤٩) وابن ماجه (٣٤٣٧) وأحمد (١٥٥١٣) (٤٢١/٣) من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن ابن أبي خزيمة عن أبي خزيمة فذكره وقال الترمذي : « هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث الزهري ، وقد روى غير واحد هذا عن سفيان عن الزهري عن أبي خزيمة عن أبيه - واسمه يعمر السعدي - وهذا أصح .. » ومن هذا الطريق أخرجه الترمذي ، كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرقى والأدوية (٢٠٦٦) وأحمد (١٥٥١٦) (٤٢١/٣) والحاكم في « المستدرک » - كما في « التهذيب » لابن حجر (٩٣/١٢) - وقال أحمد : « وهو الصواب » ، وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » قلت : وقد رواه غير واحد عن الزهري بهذا الإسناد ، أخرجه أحمد (١٥٥١٥، ١٥٥١٤) (٤٢١/٣) وابن أبي عاصم في « الأحاد والثاني » (٢٦١٠/٥) وانظر تحفة الأشراف (١١٨٩٨/٩) ، وأخرجه البغوي وابن شاهين - كما في « الإصابة » (٣٨٦/١) - من طريق عثمان بن عمر عن الزهري عن أبي خزيمة الحارث بن سعد أنه قال ... فذكر الحديث ، قال ابن معين : أخطأ عثمان بن عمر فيه ، وإنما هو عن الزهري عن أبي خزيمة أحد بنى الحارث بن سعد عن أبيه ، قال ابن حجر : « وهو الصواب واسم والد أبي خزيمة يعمر » وقد خفى هذا التحريف على الهيثمي ، فقال في « المجمع » (٨٨/٥) - بعد أن ذكر الحديث من رواية الحارث بن سعد عن أبيه - « رواه الطبراني والحارث لم أعرفه ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح غير أبي خزيمة » وقال ابن عبد البر في « الاستيعاب » ، أبو خزيمة ذكره بعضهم في الصحابة لحديث أخطأ فيه راويه عن الزهري وهو تابعي وحديثه مضطرب « قلت وابن أبي خزيمة وأبو خزيمة جلهما ذهبي وابن حجر . وللحديث شاهد من حديث حكيم بن حزام عند الطبراني في « الكبير » (٣٠٩٠/٣) والحاكم (٤٠٢/٤) - (٤٠٣) وزاد نسبه الحافظ في « الفتح » (٥٨٠/١١) إلى أبي داود والله أعلم ، وسكت عنه الحاكم والذهبي ، وفي إسناده صالح بن أبي الأخضر وهو ضعيف .

(٣٤) - إسناده ضعيف تفسير ابن أبي حاتم (١٢٢٠١/٧) وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي ، أبو عمران =

[١] - زيادة من ابن جرير (٢٠٢٤٦/١٦) . [٢] - في خ : غير واضحة .

[٣] - زيادة من ابن جرير (٢٠٢٤٨/١٦) .

أشعث ، عن جهم ، عن إبراهيم قال : أوحى الله - عز وجل - إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك : إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت ، يكونون على طاعة الله فيتحولون منها إلى معصية الله ، إلا تحوّل الله لهم^[١] مما يحبون إلى ما يكرهون . ثم قال : إن مصداق^[٢] ذلك في كتاب الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

وقد ورد هذا في حديث مرفوع ؛ فقال الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه « صفة العرش »^(٣٥) : حدثنا الحسن بن علي ، حدثنا الهيثم بن الأشعث السلمي ، حدثنا أبو حنيفة اليمامي الأنصاري ، عن عمير بن [عبد الملك]^[٣] قال : خطبنا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة قال : كنت إذا سكّيت عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ابتدأني ، وإذا سألت عن الخبر أنبأني ، وإنه حدثني عن ربه عز وجل قال : « قال الرب : وعزتي وجلالي ، وارتفاعي فوق عرشي ما من قرية ولا أهل بيت كانوا على ما كرهت من معصيتي ، ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي » [وهذا غريب وفي إسناده من لا أعرفه]^[٤] .

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾
وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ
بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ ﴿١٣﴾

يخبر تعالى : أنه هو الذي يسخر البرق : وهو ما يرى من النور اللامع ساطعاً من خلل السحاب .

وروى ابن جرير^(٣٦) : أن ابن عباس كتب إلى أبي الجلد يسأله عن البرق فقال : البرق

= الكوفي الفقيه ، « ثقة إلا أنه يرسل ، ويدلس » وجهم هو ابن دينار ويقال هو ابن أبي سبرة ، قال ابن أبي حاتم في « المرح والتعديل » (٢٠٢٢/٥ ت/٢١٦٧) عن أبيه : « هو من قدماء أصحاب النخعي ، قلت : هو صدوق ؟ قال : نعم » وأشعث هو ابن سوار الكندي : ضعيف .

(٣٥) - إسناده فيه جهالة كتاب « صفة العرش » (رقم ١٩) والهيثم بن الأشعث السلمي ، قال الذهبي في « المغني » (٧١٧/٢) وابن حجر في « اللسان » (٩٠٣١/٦ ت/٦) « مجهول » وأبو حنيفة اليمامي ذكره البخاري في « الكنى » (ت/٢٠٣) والحديث نسبه السيوطي في « الدر المنثور » إلى أبي الشيخ وابن مردويه . وذكره أبو أحمد الحاكم في « الكنى » (ت/١٨٥٣) ولم يذكر فيه جرّحاً ولا تعديلاً .

(٣٦) - تفسير ابن جرير (٤٣٤/١) ، (٢٠٢٥١/١٦) ثني المثني ، ثنا حجاج ، ثنا حماد أخبرنا موسى =

[١] - ساقطة من المطبوع من ابن أبي حاتم . [٢] - في ابن أبي حاتم : تصديق .

[٣] - كذا وفي صفة العرش : عبد الله . [٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .

الماء .

وقوله : ﴿ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ قال قتادة : خوفًا للمسافر يخاف أذاه ومشقته ، وطمعًا للمقيم يرجو بركته ومنفعته ، ويطمع في رزق الله .

﴿ وينشئ السحاب الثقال ﴾ أي : ويخلقها منشأة جديدة ، وهي لكثرة مائها ثقيلة قريبة إلى الأرض قال مجاهد : والسحاب الثقال الذي فيه الماء .

قال [١] : ﴿ ويسبح الرعد بحمده ﴾ ، كقوله : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ .

وقال الإمام أحمد (٣٧) : حدثنا يزيد ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، أخبرني أبي ، قال : كنت جالسًا إلى جنب حميد بن عبد الرحمن في المسجد ، فمر [شيخ من بني غفار] [٢] ، فأرسل إليه حميد ، فلما أقبل قال : يا ابن أخي ، وسع [٣] له [٤] فيما بيني وبينك ، فإنه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء حتى جلس فيما بيني وبينه ، فقال له [٥] حميد : ما الحديث الذي حدثتني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له الشيخ : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : « إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ، ويضحك أحسن الضحك » .

= ابن سالم أبو جهضم مولى ابن عباس قال فذكره ، وموسى بن سالم روايته عن ابن عباس مرسلة ، وأخرجه أيضًا (٤٤٣، ٤٣٧/١) من طريق بشر بن إسماعيل عن أبي كثير قال : كنت عند أبي الجلد إذ جاءه رسول ابن عباس بكتاب إليه ، فكتب إليه : « كتبت تسألني عن الرعد - وفي رواية : - البرق فالرعد الريح - وفي رواية أخرى « البرق » الماء » قال الشيخ أحمد شاكر : « هو إسناد مشكل - ما وجدت ترجمة « بشر ابن إسماعيل » وما عرفت من هو ، ثم لم أعرف من « أبو كثير » الراوى عن أبي الجلد » وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٧٦٩/٤) من طريق بشير بن سلمان - تصحف إلى سليمان - حدثنا أبو كثير بنحو السابق.

(٣٧) - صحيح « المسند » ، (٢٣٧٩٨) (٤٣٥/٥) وأخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٣٦-٣٥/١) والرامهرمزي في « الأمثال » (ص ١٥٤) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٩٨٨/٢) من طريق إبراهيم ابن سعد به ، وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، وجهالة الصحابي لا تضر ، وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٧١٨/٤) من طريق عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم به مختصرًا ، ومن طريق الأعرج عن حميد بن عبد الرحمن عن الغفاري به ، لكن في إسناده محمد بن إسحاق ، ولم يصرح في الإسناد الثاني بالسمع وأخرجه العقيلي والرامهرمزي وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٩٥/٤) =

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في المسند : « شيخ جميل من بني غفار وفي أذنيه صمم » .

[٣] - في المسند : أوسع .

[٤] - في خ : « الله » .

[٥] - سقط من : خ .

والمراد والله أعلم : أن نطقها الرعد وضحكها البرق .

وقال موسى بن عبيدة ^(٣٨) ، عن سعد بن إبراهيم قال : يبعث الله الغيث فلا أحسن منه مضحكا ، ولا أنس منه منطقا ، فضحكه البرق ومنطقة الرعد .

وقال ابن أبي حاتم ^(٣٩) : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي ، عن محمد بن مسلم قال : بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه : وجه لإنسان ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، ووجه أسد ، فإذا مصع ^(٤٠) بذنبه فذاك البرق .

وقال الإمام أحمد ^(٤١) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو مطر ، عن سالم ، عن أبيه قال : كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذا سمع الرعد والصواعق قال : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك » .

ورواه الترمذي ، والبخاري في كتاب الأدب ، والنسائي في اليوم والليلة والحاكم في مستدركه : من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن أبي مطر ، ولم يسم ^[١] به .

= من حديث أبي هريرة وفي إسناده عمرو بن الحصين متروك ، وأمّية بن سعيد الأموي مجهول ، والحديث زاد نسبه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب المطر » وصرح بأن صاحبه هو أبو ذر الغفاري ، وهو خلاف ما وقفنا عليه من مصادر حيث لم نقف على التصريح بذلك والله أعلم ، والحديث صححه الألباني في « الصحيحة » (١٦٦٥/٤) .

(٣٨) - موسى بن عبيدة الرّبّذي ضعيف ، لكن تابعه سليمان بن داود الهاشمي - وهو ثقة جليل عند أبي الشيخ في « العظمة » (٧١٩/٤) به مختصراً وقد عزاه السيوطي « الدر المنثور » (٩٥/٤) إلى أحمد وابن أبي الدنيا في « كتاب المطر » وأبي الشيخ في « العظمة » والبيهقي في « الأسماء والصفات » - وسبق تخريجه من مسند أحمد وغيره من المصادر ولم يرد فيها قول : إبراهيم هذا ، وقد وردت هذه الزيادة في حديث أبي هريرة - المشار إليه سابقاً بلفظ « .. منطقة الرعد وضحكها البرق » . لكن إسناده لا تقوم به حجة كما بينا والله أعلم .

(٣٩) - وأورده المصنف أيضاً في « البداية والنهاية » (٤١/١) - كما هنا ومحمد بن مسلم هو ابن عثمان أبو عبد الله بن وارة الخافظ ثقة مترجم له في « التهذيب » وهشام بن عبيد الله الرازي قال أبو حاتم : صدوق « وقال ابن حبان : « كان يهيم ويخطئ على الثقات » مترجم له في « اللسان » .

(٤٠) - مصعت الدابة بذنبها : حر كته .

(٤١) - إسناده فيه جهالة ، « مسند » (٥٧٦٣) (١٠٠/٢-١٠١) ومن طريق عفان به أخرجه الحاكم (٤/٢٨٦) - وسقط عنده الحجاج والصواب إثباته كما صرح به ابن حجر في « التهذيب » (٢٥٩/١٢) - والبيهقي في « الكبرى » (٣٦٢/٣) - وتصحّف عنده أبو مطر إلى أبي مظفر - وأخرجه الترمذي (٣٤٤٦) والبخاري في « الأدب المفرد » (٧٢١) والنسائي في « الكبرى » كتاب : عمل اليوم والليلة =

وقال أبو جعفر بن جرير^(٤١) : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبي هريرة رفع الحديث أنه كان إذا سمع الرعد قال : « سبحان من يسبح الرعد بحمده » .

وروي عن علي^(٤٢) رضي الله عنه أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال : سبحان من سبَّحت له . وكذا روي عن ابن عباس^(٤٣) وطاوس والأسود بن يزيد : أنهم كانوا يقولون كذلك .

وقال الأوزاعي^(٤٤) : كان ابن أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد : سبحان الله وبحمده لم تصبه^[١] صاعقة . وعن عبد الله بن الزبير : أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث ، وقال : سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته . ويقول : إن هذا لو عيد شديد لأهل الأرض . رواه مالك في موطئه^[٢] والبخاري في كتاب الأدب^(٤٥) .

= (١٠٧٦٤/٦) وأبو يعلى في مسنده (٥٥٠٧/٩) وفي « المعجم » (٣٠٩) ومن طريقه أبو الشيخ في « العظمة » (٧٨١/٤) وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٩٨) .. والدولابي في « الكنى » (٢/١١٧) والطبراني في « الكبير » (١٣٢٣٠/١٢) - ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال » (٢٩٨/٣٤) - من طرق عن عبد الواحد بن زياد به ، ورواه النسائي (١٠٧٦٣) من طريق سيار بن حاتم عن عبد الواحد ، ولم يذكر حجاجا ، وسيار صدوق له أوهام والله تعالى أعلم . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، مع أنه قال في « الميزان » (٢٤٨/٦) « أبو مطر لا يدرى من هو » وكذا جهله الحافظ ابن حجر ، ولذلك قال الترمذي « حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » والحديث زاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه والخرائطي في « مكارم الأخلاق » .

(٤١) - إسناده فيه جهالة ، تفسير ابن جرير (٢٠٢٦٠/١٦) وزاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٩٧) إلى ابن مردويه .

(٤٢) - إسناده ضعيف جدًا أخرجه ابن جرير (٢٠٢٦١/١٦) وفي إسناده مشغدة بن اليسع الباهلي ، هالك وكذبه أبو داود وقال أحمد بن حنبل : خرقنا حديثه منذ دهر ، وقال أبو حاتم : هو ذاهب منكر الحديث : لا يشتغل به .. (الجرح والتعديل » (٣٧٠/٨) و« لسان الميزان » (٢٨ / ٩) .

(٤٣) - إسناده حسن ، أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٧٢٢) وابن جرير في تفسيره (٤٣٦/١) (٢٠٢٦٢/١٦) ، وفي إسناده الحكم بن أبان ، صدوق عابد وله أوهام - كما في « التقریب » - وزاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » (٦٦/٤) إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب المطر » .

(٤٤) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٦٥/١٦) ، وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٧٨٥/٤) من طريق آخر عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا قال : بلغني أنه من سمع الرعد فقال : « سبحان الله وبحمده » لم تصبه صاعقة ، وزاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » (٩٨/٤) إلى ابن أبي شيبة .

(٤٥) - إسناده صحيح ، أخرجه مالك في « الموطأ » ، كتاب : الكلام ، باب : القول إذا سمعت الرعد (٢٦) عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه - سقط من طبعة عبد الباقي عن أبيه فليستدرك - فذكره =

[٢] - في خ : « الموطأ » .

[١] - في خ : يصبه .

وقال الإمام أحمد^(٤٦) : حدثنا سليمان بن داود الضيالي ، حدثنا صدقة بن موسى ، حدثنا محمد بن واسع ، عن شُتَيْر^[١] بن نهار ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « قال ربكم عز وجل : لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ، ، ولما أسمعتم صوت الرعد » .

وقال الطبراني^(٤٧) : حدثنا زكريا بن يحيى الساجي ، حدثنا أبو كامل الجحدري^[٢] ، حدثنا يحيى بن كثير أبو النضر ، حدثنا عبد الكريم ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله ؛ فإنه لا يصيب ذاكرة » .

وقوله تعالى : ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾ أي : يرسلها نعمة ينتقم بها من يشاء ، ولهذا تكثر^[٣] في آخر الزمان ، كما قال الإمام أحمد^(٤٨) : حدثنا محمد بن

= ومن طريق مالك أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٧٢٤) وأحمد في « الزهد » (ص ٢٤٩) وأبو الشيخ في « العظمة » (٧٨٣/٤) والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣/٣٦٢) ، وزاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » (٩٨/٤) إلى ابن سعد وابن أبي شيبه وابن المنذر والخرائطي .

(٤٦) - إسناده ضعيف « المسند » (٨٦٩٣) (٣٥٩/٢) ، والحديث في « مسند الطيالسي » (٢٥٨٦) ومن طريقه أيضًا البزار (١/رقم ٦٦٤ - كشف) والحاكم (٢/٢٥٦) ، وأخرجه الحاكم أيضًا (٢/٣٤٩) وعنه البيهقي في « الزهد الكبير » (٧١٩) عن موسى بن إسماعيل ثنا صدقة بن موسى به وقال الحاكم في الموضعين « حديث صحيح الإسناد » وتعقبه الذهبي في الموضعين فقال في الأول « بل صدقة بن موسى وإياه » وقال في الثاني : « صدقة ضعفه » وبه أعله الهيثمي أيضًا فقال في « المجمع » (٢/٢١٤) : « رواه أحمد والبزار وزاد ... قلت : ومداره على صدقة بن موسى الدقيقي ضعفه ابن معين وغيره وقال مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة الدقيقي وكان صدوقًا » قلت : وتضعيفه هو الأولي فقد ضعفه أيضًا النسائي والساجي والدولابي وقال الترمذي : ليس عندهم بذلك القوي ، وقال أبو حاتم : لين الحديث ، يكتب حديثه ولا يحتج به (« التهذيب » لابن حجر) وقد روي الحديث من مسند أبي سعيد الخدري ، أخرجه الدارقطني في « العلل » (١١/س ٢٣٠٦) ومن طريقه ابن الجوزي في « المتناهية » (٢/١٣٢١) - والبيهقي في « الزهد » (٧١٨) - وأفاد أن رواية أبي هريرة هي الصحيحة - وقال الدارقطني : « والحديث غير ثابت » .

(٤٧) - إسناده ضعيف « المعجم الكبير » (١١/١١٣٧١) وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٤/٧٨٢) ثنا زكريا الساجي به وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/١٣٩) وقال : « رواه الطبراني وفيه يحيى بن كثير أبو النضر وهو ضعيف » وزاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » (٩٨/٤) إلى ابن مردويه .

(٤٨) - إسناده ضعيف « المسند » (١١٦٣٧) (٣/٦٥-٦٤) وأخرجه الحاكم (٤/٤٤٤) من طريق محمد ابن مصعب به وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » فتعقبه الذهبي قائلًا « عمارة ثقة لم يخرجوا له » قلت : وهذا ليس إعلالا له ، والأصل أن يعلى بمحمد بن مصعب فإنه صدوق =

[٢] - في خ : « الجحدري » .

[١] - في خ : « معمر » .

[٣] - في خ : « يكثر » .

مصعب ، حدثنا عمارة عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة ، حتى يأتي الرجل القوم فيقول : من صمق تلكم »^[١] الغداة فيقولون : صمق فلان وفلان وفلان .

وقد روي في سبب نزولها ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي^(٤٩) :

حدثنا إسحاق - [ابن أبي إسرائيل]^[٢] - حدثنا علي بن أبي سارة الشيباني ، حدثنا ثابت عن أنس : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعث رجلاً مرة إلى رجل من فراعنة العرب ، فقال : « اذهب فادعه لي » . قال : فذهب إليه فقال : يدعوك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له : من رسول الله ؟ وما الله ؟ أمن ذهب هو ، أم من فضة هو ، أم من نحاس هو ؟ قال فرجع إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : يا رسول الله ، قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك ، قال لي كذا وكذا . فقال لي : « ارجع إليه الثانية » - أراه - فذهب فقال له مثلها ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك . فقال^[٣] : « ارجع إليه فادعه » . فرجع إليه الثالثة ، قال : فأعاد عليه ذلك الكلام ، فبينما هو يكلمه إذ بعث الله عز وجل سحابة حيال رأسه ، فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ الآية .

ورواه ابن جرير من حديث علي بن أبي سارة به . ورواه الحافظ أبو بكر البزار : عن عبدة بن عبد الله عن يزيد بن هارون ، عن ديلم بن غزوان ، عن ثابت ، عن أنس فذكر

= كثير الخطأ ، وبه أعلمه الهيثمي في « المجمع » (١٢/٨) فقال : « رواه أحمد عن محمد بن مصعب وهو ضعيف » ، وقد أعل الذهبى نفسه أحاديث في « المستدرک » بمحمد هذا . فانظر (١٧٦/٣-١٧٧) .

(٤٩) - حسن ، مسند أبي يعلى (٣٣٤٢/٦) بالإسناد دون اللفظ ، وأخرجه النسائي في « التفسير » (٦/١١٢٥٩) والعقيلي في « الضعفاء » (٢٣٢/٣-٢٣٣) وابن جرير (٢٠٢٧٠/١٦) والطبراني في « الأوسط » (٢٦٠٢/٣) والواحدي في « أسباب النزول » (ص ٢٠٥) من طريق علي بن أبي سارة به وهذا إسناد ضعيف ، وعلمته على هذا ، قال البخاري : في حديثه نظر وقال أبو حاتم : شيخ ضعيف الحديث ، ولكن تابعه ديلم بن غزوان - وهو صدوق عن ثابت به أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/٦٩٢) والبزار (٢٢٢١/٣) وأبو يعلى (٣٣٤١) والبيهقي في « الدلائل » (٢٨٣/٦) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤٥/٧) وقال : « رواه أبو يعلى والبزار بنحوه ... وبنحو هذا رواه الطبراني في الأوسط ... ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة وفي رجال أبي يعلى والطبراني علي بن أبي سارة وهو ضعيف » وزاد نسبه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه ، وانظر ما بعده .

[٢] - زيادة من مسند أبي يعلى .

[١] - في خ : « قبلكم » .

[٣] - في خ : « قال » .

نحوه .

وقال^(٥٠) : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا عفان ، حدثنا أبان بن يزيد ، حدثنا أبو^[١] عمران الجوني ، عن عبد الرحمن بن صبحار العبدي أنه بلغه : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جبار يدعو ، فقال : أرأيتم^[٢] ربكم أذهب هو ؟ أم فضة هو ؟ أم لؤلؤ هو ؟ قال فبينما هو يجادلهم إذ بعث الله سبحانه فرعدت ، فأرسل الله^[٣] عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه ، ونزلت هذه الآية .

وقال أبو بكر بن عياش^(٥١) ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد قال : جاء يهودي فقال : يا محمد ، أخبرني عن ربك [من أي شيء هو]^[٤] ، من نحاس هو ، أم^[٥] من لؤلؤ أو ياقوت ؟ قال : فجاءت صاعقة فأخذته ، وأنزل الله : ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ الآية .

وقال قتادة^(٥٢) : ذكر لنا أن رجلاً أنكر القرآن وكذب النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله صاعقة فأهلكته ، وأنزل الله ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ الآية .

وذكروا^(٥٣) في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأربد^[٦] بن ربيعة لما قدما على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المدينة ، فسألاه أن يجعل لهما نصف الأمر ، فأبى عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عامر بن الطفيل لعنه الله : أما والله لأملأنها عليك

(٥٠) - مرسل ، ابن جرير في تفسيره (٢٠٢٦٦/١٦) ، ورجاله ثقات ، رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن صبحار العبدي ، فقد ترجم له الحافظ ابن حجر في « تعجيل المنفعة » (٦٢٩) وقال : « روى عن أبيه - وله صحبة - وعنه أبو العلاء الشخير ، قال الحسيني : ليس بالمشهور وكذا قال وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٩٥/٥) . وزاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » (٩٩/٤) إلى الخرائطي في « مكارم الأخلاق » وانظر ما قبله .

(٥١) - إسناده ضعيف ، أخرجه ابن جرير (٢٠٢٦٧/١٦، ٢٠٢٦٨) من طريقين عن أبي بكر بن عياش به ، وليث بن أبي سليم « صدوق اختلط جدًا ولم يتميز حديثه فترك » ، وعزاه السيوطي إلى الحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم . وانظر ما قبله .

(٥٢) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٧١/١٦) بإسناد حسن إلى قتادة .

(٥٣) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٥٠/١٦) حدثني يونس نا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله فذكر الحديث وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ ، وانظر ما بعده .

[٢] - في خ : « أرأيتمكم » .

[١] - سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - زيادة من ابن جرير .

[٦] - في خ : « وزايد » .

[٥] - سقط من : خ .

خيلاً جرّداً ورجالاً مردّاً . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأبى الله عليك ذلك وأبناء^[١] قليلة » يعني : الأنصار ، ثم إنهما هما بالفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل أحدهما يخاطبه والآخر يستل سيفه ليقتله من ورائه ، فحمّاه الله تعالى^[٢] منهما وعصمه ، فخرجا من المدينة فانطلقا في أحياء العرب يجمعان^[٣] الناس لحربه عليه الصلاة^[٤] والسلام ، فأرسل الله^[٥] على أريد سحابة فيها صاعقة فأحرقت ، وأما عامر بن الطفيل فأرسل الله عليه الطاعون ، فخرجت فيه غدة عظيمة ، فجعل يقول : يا آل عامر ، غدة كفدة البكر وموت في بيت سلوية . حتى ماتا لعنهما الله . وأنزل الله في مثل ذلك : ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله ﴾ . وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخو أريد يرثيه :

أَخْشَى عَلَى أَرَبَدَ الْخُتُوفَ وَلَا أَزْهَبَ نَوَّءَ السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ
فَجَعِنِي الرَّعْدُ^[٦] وَالصَّوَاعِقُ بَالِ قَارِسِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ النَّجْدِ

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني^(٥٤) : حدثنا مسعدة بن سعد^[٧] العطار ، حدثنا إبراهيم ابن المنذر الحزامي ، حدثني عبد العزيز بن عمران ، حدثني عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد ابن أسلم ، عن أبيهما ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس : أن أريد بن قيس بن [جُزَيْي ابن خالد]^[٨] بن جعفر بن كلاب ، وعامر بن الطفيل بن مالك ، قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتھيا إليه وهو جالس ، فجلسا بين يديه فقال عامر بن الطفيل : يا محمد ، ما تجعل لي إن أسلمت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لك^[٩] ما

(٥٤) - إسناده ضعيف « المعجم الكبير » (١٠/١٠٧٦) وفي « الأوسط » (٩/٩١٢٧) ومن طريقه أبو نعيم في « الدلائل » (ص ١٦٢-١٦٣) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٤٤، ٤٥) وقال : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه ... وفي إسناده عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف » وقال عنه الحافظ في « التقریب » : « متروك احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلظه » وزاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٨٩) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه ، وأصل قصة عامر عند البخاري في صحيحه : كتاب : المغازي ، باب : غزوة الرجيع (٤٠٩١) وأحمد (١٣٢١٩) (٣/٢١٠) من حديث أنس بن مالك .

[١] - كذا وقع في طبعة الحلبي من ابن جرير (١٢/١٢٠) ، وأفاد العلامة محمود شاكر في طبعته (١٦/٢٠٢٥) أن الذي في « المخطوطة » « وابنا » على التنثية ، وصوبه ، وقال : « وقيلة » أم الأوس والخزرج .

[٢] - سقط من : خ . [٣] - في خ : « يجمعون » .

[٤] - سقط من : خ . [٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ابن جرير : البرق . (١٦/٢٠٢٧٢) .

[٧] - في ز : سعيد . والمثبت من المعجم الكبير والأوسط ، وكذا أورده المصنف في « البداية والنهاية » (٥/٧١) .

[٨] - في ز : « جزء بن جليل » . [٩] - سقط من : خ .

للمسلمين وعليك ما عليهم». قال عامر بن الطفيل: أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك؟ قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «ليس ذلك لك ولا لقومك، ولكن لك أعنة الخيل». قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، اجعل لي الوبر ولك المدر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا». فلما قفلا^[١] من عنده، قال عامر: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً. فقال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «يمنعك الله». فلما خرج أريد وعامر، [قال عامر: يا أريد^[٢]، أنا أشغل عنك محمداً بالحديث فاضربه بالسيف، فإن الناس إذا قتلت محمداً لم يزيدوا علي أن يرضوا بالدية، ويكرهوا الحرب [فمنعهم الدية^[٣]. قال أريد: أفعل. فأقبلا راجعين إليه، فقال عامر: [يا محمد^[٤] قم معي أكلمك. فقام معه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فجلسا^[٥] إلى الجدار، ووقف معه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يكلمه، وسل أريد السيف، فلما وضع يده على قائم^[٦] السيف بيست يده على قائم السيف، فلم يستطع سل السيف، فأبطأ أريد على عامر بالضرب، فالتفت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فرأى أريد وما يصنع، فانصرف عنهما، فلما خرج عامر وأريد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانا بالحرّة - حرّة واقم - نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، فقالا: اشخصا يا عدوي^[٧] الله لعنكما الله. فقال عامر: من هذا يا سعد؟ قال: هذا أسيد بن حضير الكتائب^[٨]. فخرجا حتى إذا كانا بالرقم، أرسل الله^[٩] على أريد صاعقة فقتلته، وخرج عامر حتى إذا كان بالحُرْمِ أرسل الله قرحة فأخذته، فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يمس قرحته في حلقة ويقول: غدة كغدة الجمل في بيت سلولية. يرغب أن يموت في بيتها، ثم ركب فرسه فأحضره حتى مات عليه راجعاً، فأنزل الله فيهما: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ إلى قوله: ﴿وما لهم من دونه من وال﴾ قال: المعقبات من أمر الله يحفظون محمداً صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر أريد وما قتله به، فقال: ﴿ويرسل الصواعق﴾ الآية.

وقوله: ﴿وهم يجادلون في الله﴾ أي: يشكون في عظمته وأنه لا إله إلا هو ﴿وهو شديد المحال﴾.

[١] - في خ: «قفا».

[٢] - في خ: «قال أريد: يا عامر».

[٣] - زيادة في ت.

[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من: خ.

[٥] - في الطبراني: فخليا.

[٦] - سقط من: ز.

[٧] - في خ: «عدو».

[٨] - في خ: «العائب». وفي المعجم الكبير: الكاتب.

[٩] - زيادة من: خ.

[١٠] - في الكبير: بالحر.

قال^[١] ابن جرير : شديدة ماحلته في عقوبة من طفئ عليه وعتا وتمادى في كفره .
وهذه الآية شبيهة بقوله : ﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ﴾ فانظر كيف
كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين .
وعن علي^(٥٥) - رضي الله عنه - : ﴿ وهو شديد المحال ﴾ أي : شديد الأخذ ، وقال
مجاهد شديد القوة .

لَمْ دَعُوهُ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفْتَهُ إِلَى
الْمَاءِ لِيَلْبِغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغٍ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : ﴿ له دعوة الحق ﴾ قال : التوحيد . رواه
ابن جرير^(٥٦) .
وقال ابن عباس^(٥٧) وقتادة ومالك عن محمد بن المنكدر : ﴿ له دعوة الحق ﴾ : لا إله إلا
الله .

﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ الآية ، أي : ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله ﴿ كباسط
كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ﴾ قال علي بن أبي طالب^(٥٨) : كمثل الذي يتناول الماء من طرف
البئر بيده ، وهو لا يناله أبداً فكيف يبلغ فاه ؟ .

وقال مجاهد : ﴿ كباسط كفيه ﴾ يدعو الماء بلسانه ويشير إليه فلا يأتيه أبداً .

وقيل : المراد كقابض يده على الماء ، فإنه لا يحكم منه على شيء ، كما قال الشاعر :

(٥٥) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٧٣/١٦) ، وفي إسناده سيف بن عمر الضبي ، قال ابن حجر في
« التقریب » : « ضعيف الحديث عمدة في التاريخ أفحش ابن حبان القول فيه » .

(٥٦) - تفسير ابن جرير (٢٠٢٨٢/١٦) وفيه علة الأثر السابق ، وزاد نسبه السيوطي (١٠١/٤) إلى أبي
الشيخ .

(٥٧) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٤/٢) ، وابن جرير (٢٠٢٨٠/١٦) من رواية سماك عن عكرمة
عنه وهي رواية مضطربة ، لكن أخرجه ابن جرير (٢٠٢٨١) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٢٠٦/١)
من طرق آخر وفيه انقطاع وزاد نسبه السيوطي (١٠١/٤) إلى الفريابي ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي
الشيخ في « الأسماء والصفات » .

(٥٨) - أخرجه ابن جرير (٢٠٢٨٦/١٦) وبه علة الأثر المتقدم برقم (٥٤) .

فَلِإِنِّي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِفُهُ أَنَامِلُهُ
وقال الآخر :

فَأَصْبَحْتُ بِمَا^[١] كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنْ الْوُدِّ مِثْلَ الْقَابِضِ الْمَاءِ بِالْيَدِ
ومعنى الكلام : أن هذا الذي ييسط يده إلى الماء ؛ إما قابضًا ، وإما متناولًا له من بعد ،
كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه الذي جعله محلًا للشرب ، فكذلك هؤلاء
المشركون الذين يعبدون مع الله إلهاً غيره لا ينتفعون بهم أبدًا في الدنيا ولا في الآخرة ،
ولهذا قال : ﴿ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ .

وَلِلَّهِ سَجْدٌ مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾

(١٥)

يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء ، ودان له كل شيء ، ولهذا يسجد
له كل شيء طوعًا من المؤمنين ، وكرهاً من الكافرين^[٢] ﴿ وظلالهم بالغدوِّ ﴾ أي : البكر
﴿ والآصال ﴾ وهو جمع أصيل : وهو آخر النهار ، كقوله تعالى : ﴿ أو لم يروا إلى ما
خلق الله من شيء يتغيّر ظلاله ﴾ الآية .

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَتُ وَالنُّورُ أَمْ
جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ

الْقَهَرُ ﴿١٦﴾

يقرّر تعالى أنه لا إله إلا هو ؛ لأنهم معترفون بأنه هو الذي خلق السموات والأرض ، وهو
ربها ومدبرها ، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم ، وأولئك هم^[٣] الآلهة لا
تملك لأنفسها ولا لعبادها بطريق الأولى نفعا ولا ضرا ، أي : لا تحصل منفعة ولا تدفع
مضرة ، فهل يستوي من عبد هذه الآلهة مع الله ، ومن عبد الله وحده لا شريك له وهو
على نور من ربه ؟ ولهذا قال : ﴿ قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي

[٢] - في خ : « المشركين » .

[١] - في خ : « ما » .

[٣] - زيادة من : خ .

الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ﴿ أي : أجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب وتمثله في الخلق ، فخلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ، فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره ، أي : ليس الأمر كذلك ، فإنه لا يشابهه شيء ولا يماثله ، ولا ند له ، ولا عدل له ، ولا وزير له ، ولا ولد ولا صاحبة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم معترفون أنها مخلوقة له عبيد له ، كما كانوا يقولون في تليبتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ^(٥٩) . وكما ^[١] أخبر تعالى عنهم في قوله : ﴿ ما ^[٢] نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ فأنكر تعالى عليهم ذلك حيث اعتقدوا ذلك ، وهو تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ ﴿ وكم من ملك في السموات ﴾ الآية ، وقال ^[٣] : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدّهم عدداً * وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ﴾ فإذا كان الجميع عبيداً فَلِمَ يعبد بعضهم بعضاً بلا دليل ولا برهان . بل بمجرد الرأي والاختراع والابتداع ، ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم ترجرهم عن ذلك ، وتنهاهم عن عبادة من سوى الله ، فكذبهم وخالفهم ، فحققت عليهم كلمة العذاب لا محالة ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ .

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ مَثَلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)

اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه ، والباطل في اضمحلاله وفنائه ، فقال تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء ﴾ أي : مطراً ^[٤] ﴿ فسالت أودية بقدرها ﴾ أي : أخذ كل واحد بحسبه ، فهذا كبير وسع كثيراً من الماء ، وهذا صغير فوسع بقدره ، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها ، فمنها ما يسع علماً كثيراً ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها ﴿ فاحتمل السيل زبداً رابياً ﴾ أي : فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زبد عال عليه ، هذا مثل ، وقوله : ﴿ ومما يوقدون في النار ﴾

(٥٩) - تقدم تخريج ذلك (سورة يوسف / آية ١٠٦) .

[٢] - في خ : « إنما » .
[٤] - في خ : « مطرت » .

[١] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .

ابتغاء حلية أو متاع ﴿ الآية ، هذا هو المثل الثاني : وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة ابتغاء حلية ، [أي : ليجعل]^[١] حلية نحاس أو حديد فيجعل متاعا ، فإنه يعلوه زبد منه كما يعلو ذلك زبد منه ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ أي : إذا اجتمعا لا ثبات للباطل ولا دوام له ، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء ، ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار ، بل يذهب ويضمحل ، ولهذا قال : ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾ أي : لا ينتفع به ، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي ، ويلق بالشجر ، وتنسفه الرياح ، وكذلك خبت الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب لا يرجع منه []^[٢] شيء ، [ولا يبقى إلا الماء]^[٣] وذلك^[٤] الذهب ونحوه ينتفع به ، ولهذا قال : ﴿ وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .

وقال^[٥] بعض السلف^(٦٠) : كنت إذا قرأت مثلاً من القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .

قال علي بن أبي طلحة^(٦١) ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء فسألت أودية بقدرها ﴾ الآية : هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها ، فأما الشك فلا ينفع معه العمل ، وأما اليقين فينفع الله به أهله ، وهو قوله : ﴿ فأما الزبد ﴾ [وهو الشك]^[٦] ﴿ فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ وهو اليقين ، وكما يُجعل الحلي في النار ، فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار ، فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك .

وقال العوفي^(٦٢) ، عن ابن عباس قوله : ﴿ أنزل من السماء ماء فسألت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ﴾ يقول : احتمل السيل ما في الوادي من عود ودمنة^[٧] ﴿ ومما يوقدون عليه في النار ﴾ فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد ، فللنحاس

(٦٠) - ورد نحو ذلك عن عمرو بن مرة انظر (العنكبوت / آية ٤٣) .

(٦١) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣١١/١٦) وزاد نسبه السيوطي (١٠٤/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٦٢) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣١٢/١٦) وزاد نسبه السيوطي (١٠٤/٤) إلى ابن أبي حاتم .

[١] - ما بين المعكوفين في خ : « أو » .

[٢] - في خ : إلى .

[٣] - في خ : « ويبقى الماء » .

[٤] - في خ : « كذلك » .

[٥] - في خ : « قال » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٧] - سقط من : خ .

والحديد خبث فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء ، فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة ، وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأثبتت ، فجعل ذاك مثل العمل الصالح يبقى لأهله ، والعمل السيئ يضمنحل عن أهله كما يذهب هذا الزبد ، وكذلك الهدى والحق جاءا^[١] من عند الله فمن عمل بالحق كان له ، وبقي كما يبقى ما ينفع الناس في الأرض ، وكذلك الحديد لا يستطيع أن يعمل^[٢] منه سكين ولا سيف حتى يدخل في النار ، فتأكل خبثه ويخرج جيده فينتفع به ، فكذلك^[٣] يضمنحل الباطل ، فإذا^[٤] كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الأعمال ، فيزيغ^[٥] الباطل ويهلك ، ويتنفع أهل الحق بالحق .

وهكذا روي في تفسيرها عن مجاهد والحسن البصري وعطاء وقتادة وغير واحد من السلف والخلف .

وقد ضرب سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة للمناققين مثلين ؛ نارياً ومائياً وهما قوله : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ﴾ الآية ، ثم قال : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ الآية ، وهكذا ضرب للكافرين في سورة النور مثلين ؛ أحدهما قوله : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب ﴾ بقية يحسبه الظمان ماء^[٦] الآية ، والسراب إنما يكون في شدة الحر ، ولهذا جاء في الصحيحين^(٦٣) : فيقال لليهود يوم القيامة فما تريدون ؟ فيقولون : أي ربنا عطشنا فاسقنا . فيقال : ألا تردون ؟ فيردون النار فإذا هي كسراب^[٧] يحطم بعضها بعضاً .

ثم قال تعالى في المثل الآخر : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي ﴾ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب^[٨] الآية ، وفي الصحيحين^(٦٤) عن أبي موسى الأشعري [رضي الله عنه ، أن]^[٩] رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن مثل ما بعشي الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكان^[١٠] منها طائفة طيبة^[١١] قبلت الماء ،

(٦٣) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : « إن الله لا يظلم مثال ذرة » (٤٥٨١) ، ومسلم كتاب : الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية (٣٠٢) (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري .
(٦٤) - تقدم تخريجه (سورة الأعراف / آية ٥٨) .

[٢] - في ابن جرير : تجعل .

[٤] - في خ : « إذا » .

[٦] - زيادة من : خ .

[٨] - ما بين المعكوفين زيادة من : خ .

[١٠] - في الصحيحين : فكانت .

[١] - في خ : « جاء » .

[٣] - في خ : « كذلك » .

[٥] - في خ : « فيرفع » .

[٧] - في خ : « السراب » .

[٩] - في خ : « قال : قال » .

[١١] - سقط من : ز .

فَأُنْبِتَ^[١] الْكَلَأَ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادبٌ أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس [فشربوا ورعوا وسقوا وزرعوا]^[٢] ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان : لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه الله بما بعثي ، ونفع به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به . » .

فهذا مثل مائي ، وقال في الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد^(٦٥) :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « مثلي ومثلكم^[٣] : كمثل رجل استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حولها^[٤] جعل^[٥] الفرائش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها ، وجعل يخبزهن ويغليهن^[٦] فيتقحم^[٧] فيها - قال - فذلكم مثلي ومثلكم : أنا آخذ بخبزكم عن النار فلم عن النار [هلم عن النار]^[٨] ، هلم ، فتغلبوني فتقحمون فيها . » وأخرجه في الصحيحين أيضًا ، فهذا مثل ناري .

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْخُسْفَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَتِسَّ إِلَهُهُ



(٦٥) - صحيح « المسند » (٨١٠٢) (٣١٢/٢) ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : شفقتة - صلى الله عليه وسلم - على أمته ، ومبالفته في تحذيرهم مما يضرهم (١٨) (٢٢٨٣) حدثنا محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق به وأخرجه أحمد (٧٣١٨) (٣٤٤/٢) ، والبخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : قول الله تعالى ﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣٤٢٦) ، وفي الرقاق ، باب : الانتهاء عن المعاصي (٦٤٨٣) ، ومسلم (١٧) (٢٢٨٤) ، والترمذي ، كتاب : الأمثال ، باب : ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله (٢٨٧٧) من طريق أبي الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة به نحوه .

[١] - في خ : « وأنبت » .

[٢] - الذي في صحيح مسلم : « فشربوا منها وسقوا ورعوا » . وفي صحيح البخاري : « فشربوا وسقوا وزرعوا » .

[٣] - سقط من المسند .

[٤] - في ز : حوله .

[٥] - في خ : « جعل الله » .

[٦] - في خ : « ويغليهن » .

[٧] - في خ : « ويتقحم » . وفي المسند فتقحم .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

يخبر تعالى عن مآل السعداء والأشقياء ، فقال : ﴿ للذين استجابوا لربهم ﴾ أي : أطاعوا الله ورسوله ، وانقادوا لأوامره ، وصدقوا أخباره الماضية والآتية ، فلهم ﴿ الحسنی ﴾ [١] وهو الجزاء الحسن ، كقوله تعالى مخبراً عن ذي القرنين أنه قال : ﴿ أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً * وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ .

وقوله : ﴿ والذين لم يستجيبوا له ﴾ أي : لم يطيعوا الله ﴿ لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ﴾ أي : في الدار الآخرة لو أن يمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهباً ومثله معه لافتدوا به ، ولكن لا يتقبل منهم ؛ لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً ﴿ أولئك لهم سوء الحساب ﴾ أي : في الدار الآخرة ، أي : يناقشون على النقيير والقطمير والجليل والحقير ، «ومن نوقش الحساب عذب» [٢] ، ولهذا قال : ﴿ ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ .

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَٰئِكَ الْآلِفَ ۚ



يقول تعالى : لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي ﴿ أنزل إليك ﴾ يا محمد ﴿ من ربك ﴾ هو الحق الذي لاشك فيه ولا مرية ، ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه ، بل هو كله [٢] حق يصدق بعضه بعضاً ، لا يضاد شيء منه شيئاً آخر ، فأخبره كلها حق ، وأوامره ونواهيه عدل ، كما قال تعالى : ﴿ ووقت كلمة ﴾ [٣] ربك صدقاً وعدلاً ﴾ أي : صدقاً في الإخبار ، وعدلاً في الطلب ، فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد ، ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه ، ولو فهمه ما انقاد له ولا صدقه ولا اتبعه ، كقوله تعالى : ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ وقال في هذه [٤] الآية الكريمة : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ أي : أفهذا كهذا ؟ لا استواء .

(٦٦) - صحيح ، صح ذلك مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم . ويأتي تخريجه (سورة الإنشاق / آية).

[٢] - في خ : « كلمة » .

[٤] - سقط من : خ .

[١] - في خ : « الحسن » .

[٣] - في خ : « كلمات » .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [أي : إنما يتعظ ويعتبر ويعقل]^[١] أولو العقول السليمة الصحيحة ، جعلنا الله منهم .

الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَمْ يُعْطِ الدَّارَ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى مخبراً عن من اتصف بهذه الصفات الحميدة : بأن لهم عقبى الدار ، وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة .

﴿ الَّذِينَ [يوفون بعهد الله و]^[٢] لا ينقضون الميثاق ﴾ وليسوا كالمنافقين الذين « إذا عاهد أحدهم غدر ، وإذا خاصم فجر ، وإذا حدث كذب ، وإذا ائتمن خان »^(٦٧) .

﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ من صلة الأرحام ، والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمحاويج ، وبذل المعروف ﴿ ويخشون ربهم ﴾ أي : فيما يأتون وما يذرون من الأعمال ، يراقبون الله في ذلك ، ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة ، فلهذا أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم ، وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية .

﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ﴾ أي : عن المحارم والمآثم ففطموا أنفسهم عنها لله - عز وجل - ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها ، على الوجه الشرعي المرضي ﴿ وأنفقوا مما رزقناهم ﴾ أي : على الذين يجب عليهم الإنفاق لهم ؛ من زوجات^[٣] وقرابات وأجانب ، من فقراء ومحاويج ومساكين ﴿ سراً وعلانية ﴾ أي : في السر والجهر ، لم يمنهم من ذلك حال من

(٦٧) - نص حديث يأتي برقم (٧٢، ٧٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في خ : « زوجاتهم » .

[٢] - سقط من : خ .

الأحوال ، في ^[١] آناء الليل وأطراف النهار ﴿ ويدرءون بالحسنة السيئة ﴾ أي : يدفعون القبيح بالحسن ، فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبراً واحتمالاً وصفحاً وعفواً ، كقوله تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴿ ولهذا قال مخبراً عن هؤلاء السعداء المتصفين بهذه الصفات الحسنة : بأن لهم عقبى الدار ، ثم فسر ذلك بقوله ﴿ جنات عدن والعدن : الإقامة ، أي : جنات إقامة يخلدون فيها .

وعن عبد الله بن عمرو ^(٦٨) أنه قال : إن في الجنة قصرًا يقال له عدن ، حوله البروج والمروج ، فيه خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حِجرة ، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد . وقال الضحاك في قوله : ﴿ جنات عدن ﴾ مدينة الجنة فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى ، [والناس حولهم بعد والجنات] ^[٢] حولها . رواهما ابن جرير .

وقوله : ﴿ ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ أي : يجمع بينهم وبين أحبائهم فيها ، من الآباء والأهلين والأبناء ، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين ؛ لتقر أعينهم بهم ، حتى أنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى [من غير تنقيص للأعلى عن درجته] ^[٣] بل امتناناً من الله وإحساناً ، كما قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ^[٥] ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ أي : وتدخل عليهم الملائكة من ههنا ومن ههنا للتهنئة بدخول ^[٦] الجنة ، فعند

(٦٨) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٤٢/١٦) حدثني المثني ، قال : حدثنا إسحاق قال ثنا علي بن جرير ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو فذكره ، قال الشيخ محمود شاكر « وهذا إسناد صحيح إلى عبد الله بن عمرو ، لولا ما فيه من جهالة « علي بن جرير » - انظر الأثر المتقدم برقم (٣٠) وهو موقوف على عبد الله بن عمرو ، لم أجد من رفعه » .

قلت : أخرجه البزار (١٥٩١/٢ - كشف) ، (١/١٢٤٠ - مختصر الزوائد) - ومن طريقه أبو نعيم في كتاب « العادلين » ومن طريق أبي نعيم الديلمي في مسنده - كما في « تخریج أحاديث العادلين » للسخاوي (ص ٦٩) - من طريق آخر عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً وقال البزار « لا نعلمه يروى عن =

[١] - في خ : « من » .

[٢] - وقع في تفسير ابن جرير : « والناس حولها بعدد الجنات » وما في الدر المنثور (١٠٨/٤) يوافق ما ههنا وزاد نسبته إلى أبي الشيخ .

[٤] - في خ : « ذرياتهم » .

[٣] - سقط من : خ .

[٦] - في خ : « ودخول » .

[٥] - في خ : « ذرياتهم » .

دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين ، مهتئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإِنعام ، والإقامة في دار السلام في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام .

وقال الإمام أحمد رحمه الله ^(٦٩) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثني سعيد بن أبي أيوب ، حدثنا معروف بن سويد الجذامي ، عن أبي عُشانة المَعافري ، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص - رضي الله عنهما - عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء ^[١] والمهاجرون ، الذين تُسَدُّ بهم الثُّغور ، وتُتَقَى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قَضَاءً ، فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته : اتَّبِعْهُمْ فَحَيِّوْهُمْ . فتقول الملائكة : نحن سُكَّانُ سَمَائِكَ وَخَيْرُكَ من خلقك ، أَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ؟ فيقول : إنهم كانوا عبادًا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، وتُسَدُّ بهم الثُّغور وتُتَقَى ^[٢] بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء - قال - فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ . »

ورواه أبو القاسم الطبراني ^(٧٠) : عن أحمد بن رشد ^[٣] ، عن أحمد بن صالح ، عن

= عبد الله بن عمرو إلا من هذا الوجه « قال الهيثمي في « المجموع » (١٩٩/٥) : « وفيه عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف » والحديث زاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٧/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦٩) - صحيح ، معروف بن سويد ترجم له البخاري في « التاريخ الكبير » (٤٤٤/٧) وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٣٢٣/٨) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ووثقه ابن حبان (٤٩٩/٧) وقد روى عنه جماعة من « الثقات » ولذلك قال الذهبي في « الكاشف » (١٦٢/٣) : « ثقة » وقد توبع كما يأتي وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي عُشانة - وهو ابن يؤمن - روى له أصحاب السنن وهو ثقة .

والحديث في « المسند » (٦٥٧٠) (١٦٨/٢) وأخرجه ابن أبي عاصم في « الأوائل » (٥٧) وعبد بن حميد في « المنتخب » (٣٥٢) والبخاري (٣٦٦٥/٤) كشف (وأبو نعيم في « الحلية » (٣٤٧/١) وفي « صفة الجنة » (٨١) والبيهقي في « البعث والنشور » (٤١٤) كلهم من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ به وصححه ابن حبان (٧٤٢١/١٦) - إحصان (، (٢٥٦٥/٨ - موارد (، وذكره الهيثمي في « المجموع » (٢٦٢/١٠) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني ... ورجالهم ثقات » وزاد نسبه السيوطي (١٠٩/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه وانظر ما بعده .

(٧٠) - صحيح ، رجاله ثقات : غير أحمد بن رشد ^[٣] شيخ الطبراني وهو أحمد بن محمد بن الحجاج ، قال ابن عدي : كذبوه وأنكرت عليه أشياء ، وقال ابن أبي حاتم : سمعت منه بمصر ولم أحدث عنه لما =

[١] - زيادة من المسند .

[٣] - في خ : « رشد » .

[٢] - في المسند : فتقى .

عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي عثانة ، سمع عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أول ثلثة^[١] يدخلون الجنة فقراء المهاجرين ، الذين تتقى بهم المكاره ، وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا ، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى سلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره ، وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها ، فيقول : أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ؟ ادخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون : ربنا نحن [نسبح بحمديك]^[٢] الليل والنهار ، ونقدس لك ، من هؤلاء الذين أثرتهم علينا ؟ فيقول الرب عز وجل : هؤلاء عبادي الذين جاهدوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي . فتدخل عليهم الملائكة من كل باب ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ .

وقال عبد الله بن المبارك : عن بقية بن الوليد ، حدثنا أرطاة بن المنذر ، قال : سمعت رجلاً من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج ، يقول : جلست إلى أبي أمامة فقال : إن المؤمن ليكون متكثراً على أريكته إذا دخل الجنة ، وعنده سِمَاطَان من خَدَم ، وعند طرف السماطين بابٌ مَبوَّبٌ ، فيقبل الملك فيستأذن ، فيقول أقصى الخدم للذي يليه : ملك يستأذن ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ملك يستأذن ، حتى يبلغ المؤمن ، فيقول : ائذنوا ، فيقول : أقر بهم للمؤمن : ائذنوا له ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ائذنوا له ، [فكذلك]^[٣] حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب ، فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف . رواه ابن جرير^(٧١) .

ورواه ابن أبي حاتم : من حديث إسماعيل بن عياش ، عن أرطاة بن المنذر ، عن أبي الحجاج^[٤] يوسف الألهماني ، قال : سمعت أبا أمامة فذكر نحوه .

= تكلموا فيه . وقال ابن يونس : كان من حفاظ الحديث ؛ وقال مسلمة : حدثنا عنه غير واحد وكان ثقة عالماً بالحديث (انظر « الميزان » ٥٣٨/١) و « اللسان » (٨١٣/١) قلت : وقد توبع ، فأخرجه ابن جرير (٤/ ٢١٦) سورة آل عمران / آية ١٩٥ والحاكم (٧١/٢ - ٧٢) والبيهقي في « الشعب » (١٠٣٨٠/٧) من طرق عن عبد الله بن وهب به وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٦٢/١٠) وقال : « رجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي غشانة وهو ثقة » وأخرجه أحمد (٦٥٧١) ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا أبو غشانة به نحوه ، وزاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » (١٩٨/٤) آل عمران / ١٩٨ (١٩٨) إلى أبي الشيخ ، وانظر ما قبله .

(٧١) - تفسير ابن جرير (٢٠٣٤٤/١٦) - والحديث رواه ابن المبارك - كما في « زوائد الزهد » لنعيم بن حماد (٢٣٧) وأبو الحجاج هذا أو أبو الضحاك . لا يعرف حاله .

[١] - في خ : « ثلاثة » .

[٢] - زيادة من ابن جرير .

[٣] - كذا ومثله في تفسير ابن جرير ، وأفاد الشيخ محمود شاكر أنه « أبو الضحاك » لا « أبو الحجاج »

استناداً إلى ما في « المرح والتعديل » ، « والتاريخ الكبير » للبخاري .

وقد جاء في الحديث^(٧٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول ، فيقول لهم : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » . وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان .

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾

هذا حال الأشقياء وصفاتهم ، وذكر ما لهم في الدار الآخرة ، ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون ، كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا ، فأولئك كانوا يوفون بعهد الله ويصلون ما أمر الله به أن يوصل ، وهؤلاء : ﴿ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ كما ثبت في الحديث^(٧٣) : « آية المنافق ثلاث ؛ إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان » . [وفي رواية^(٧٤) : « و [١] إذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » . ولهذا قال : ﴿ أولئك لهم اللعنة ﴾ وهي الإبعاد عن الرحمة ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ وهي سوء العاقبة والمآل ﴿ ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ .

وقال أبو العالية في قوله [تعالى : ﴿ و [٢] الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ ﴾ الآية] قال : هي ست خصال في^[٣] المنافقين ، إذا كان فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال ؛ إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا ائتمنوا خانوا ، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه ،

(٧٢) - ضعيف ، أخرجه ابن جرير (٢٠٣٤٥/١٦) حدثني المثنى قال : حدثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن إبراهيم بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن محمد بن إبراهيم قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور الشهداء ... فذكره هكذا مرسلًا ، وأخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (٦٧١٦/٣) عن رجل من أهل المدينة عن سهيل بن أبي صالح به ووصله البيهقي في « الدلائل » (٣٠٦/٣) ومن طريقه ذكره المصنف في « البداية والنهاية » (٥١/٤) من طريق موسى بن يعقوب عن عباد بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة به مرفوعًا ، وعباد بن أبي صالح - ويقال عبد الله بن أبي صالح - لين الحديث ، كما في « التقریب » - وموسى بن يعقوب « صدوق سني الحفظ » وعزاه السيوطي (١٠٩/٤) إلى ابن المنذر وابن مردويه من حديث أنس .

(٧٣) - تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ١٧٧) .

(٧٤) - تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ١٧٧) .

[١] - في خ : « في رواية » .

[٣] - في خ : « من » .

[٢] - سقط من : خ .

وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وأفسدوا في الأرض ، وإذا كانت الظهرة عليهم أظهرها
الثلاث خصال : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا وإذا أؤتمنوا خانوا .

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
إِلَّا مَتَعٌ ﴿٢٦﴾

يذكر تعالى : أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء ، ويُقَدِّرُهُ على من يشاء ، لما له في
ذلك من الحكمة والعدل ، وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا في الحياة الدنيا استدراجاً لهم
وإمهالاً ، كما قال : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ * نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ
بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما ادخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة ، فقال :
﴿ وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ﴾ ، كما قال : ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة
خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً ﴾ وقال : ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير
وأبقى ﴾ وقال الإمام أحمد^(٧٥) : حدثنا وكيع ، ويحيى بن سعيد ، قالا : حدثنا إسماعيل
ابن أبي خالد ، عن قيس ، عن المستورد^[١] أخي بني فهر قال : قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم : « ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم ،
فلينظر بم ترجع » . وأشار بالسبابة . رواه مسلم في صحيحه .

وفي الحديث الآخر^(٧٦) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجذبي أسك ميت -
والأسك : الصغير الأذنين - فقال : « والله للدنيا أهون على الله من هذا على أهله حين
الْقَوْرَةِ » .

وَقَوْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ

(٧٥) - صحيح « المسند » (١٨٠٦٩، ١٨٠٦٣) (٢٢٩، ٢٢٨/٤) وأخرجه أيضاً (١٨٠٦٤، ١٨٠٦٧) (٢٢٩/٤) ومسلم : كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة ،
(٥٥) (٢٨٥٨) والترمذي ، كتاب : الزهد ، باب : قياس الدنيا بالنسبة للآخرة (٢٣٢٤) ، والنسائي في
الرقاق من الكبرى - كما في تحفة الأشراف (١١٢٥٥) (٣٧٥/٨) - وابن ماجه كتاب : الزهد ، باب :
مثل الدنيا (٤١٠٨) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به .

(٧٦) - أخرجه مسلم ، فاتحة كتاب الزهد والرقائق (٢) (٢٩٥٧) ، وأبو دواد ، كتاب : الطهارة ، باب :
ترك الوضوء من مس الميتة (١٨٦) ، وأحمد (١٤٩٧٣) (٣٦٥/٣) من حديث جابر بن عبد الله .

وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا
بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى
لَهُمْ وَحَسَنُ مَّآبٍ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالى عن قيل المشركين ﴿لولا﴾ أي : هلا ﴿أنزل عليه آية من ربه﴾ كقولهم^[١] : ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ وقد تقدم الكلام على هذا غير مرة ، وأن الله قادر على إجابة ما سألو ، وفي الحديث (٧٧) : إن الله أوحى إلى رسوله لما سأله أن يحول لهم الصفا ذهباً ، وأن يجري لهم ينبوعاً ، وأن يزيح الجبال من حول مكة فيصير مكانها مروج وبساتين : إن شئت يا محمد أعطيتهم ذلك ، فإن كفروا فإني أعذبهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة ، فقال : « بل تفتح لهم باب التوبة والرحمة » . ولهذا قال لرسوله : ﴿قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾ أي^[٢] : هو المضل والهادي ، سواء بعث الرسول بآية على وفق ما اقترحوا ، أو لم يجبههم إلى سؤالهم ، فإن الهداية والإضلال ليس منوطاً بذلك ولا عدمه ، كما قال : ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ ، وقال : ﴿إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ ، وقال : ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ ، ولهذا قال : ﴿قل﴾^[٣] إن الله يضل من يشاء ويهدي من أناب ﴿أي : ويهدي إليه من أناب إلى الله ، ورجع إليه﴾^[٤] واستعان به وتضرع لديه .

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ أي : تطيب وتركن إلى جانب الله ، وتسكن عند ذكره ، وترضى به مولى ونصيراً ، ولهذا قال : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ أي : هو حقيق بذلك .

وقوله^[٥] : ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾ قال ابن أبي

(٧٧) - صحيح ، (تقدم / الإسراء / آية ٥٩) .

[٢] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[١] - في خ : « فقالوا » .

[٣] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : خ .

طلحة ، عن ابن عباس : فرخ وقرّة عين^(٧٨) . وقال عكرمة : نغم ما لهم .

وقال الضحاك : غبطة لهم .

وقال إبراهيم النخعي : خير لهم .

وقال قتادة : هي كلمة عربية يقول الرجل : طوبى لك ، أي : أصبت خيرًا . وقال في رواية : ﴿ طوبى لهم ﴾ : حُسنَى لهم .

﴿ وحسن مآب ﴾ أي : مرجع .

وهذه الأقوال شيء واحد لا منافاة بينها .

وقال سعيد بن جبير^(٧٩) ، عن ابن عباس ﴿ طوبى لهم ﴾ قال : هي أرض [الجنة بالحبشية]^[١] .

وقال سعيد بن مسجوح^[٢] : طوبى اسم الجنة بالهندية . وكذا روى السدي عن عكرمة ﴿ طوبى لهم ﴾ أي : الجنة . وبه قال مجاهد .

وقال العوفي^(٨٠) ، عن ابن عباس : لما خلق الله الجنة وفرغ منها ، قال : ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ﴾ وذلك حين أعجبته .

وقال ابن جرير^(٨١) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شهر بن حوشب قال : (طوبى) ، شجرة في الجنة ، كل شجر الجنة منها ، أغصانها من وراء سور الجنة .

وهكذا روى عن أبي هريرة^(٨٢) ، وابن عباس ، ومغيث بن سمي ، وأبي إسحاق السبيعي

(٧٨) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٦٩/١٦) وزاد نسبه السيوطي (١١٠/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٧٩) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٧٤/١٦ ، ٢٠٣٧٥) .

(٨٠) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٨١/١٦) والعوفي ضعيف .

(٨١) - تفسير ابن جرير (٢٠٣٨٥/١٦) وشيخ ابن جرير وهو محمد بن حميد الرازي ، حافظ ضعيف .

(٨٢) - يأتي تخريجه برقم (٩١) .

[١] - في خ : « الحبشة » .

[٢] - وقيل : ابن مشجوع ، وقيل : ابن مسجوع ، هكذا جاء مختلفاً في المخطوطة عند ابن جرير أفاده الشيخ شاكر في نسخه (٢٠٣٧٦/ ١٦) . وأثبت ابن مشجوع .

وغير واحد من السلف : أن طوبى شجرة في الجنة ، في كل دار منها غصن منها .

وذكر بعضهم أن الرحمن تبارك وتعالى غرسها بيده من حبة لؤلؤة ، وأمرها أن تمتد ، فامتدت إلى حيث يشاء الله تبارك وتعالى ، وخرجت من أصلها ينابيع أنهار الجنة ، من عسل وخمر وماء ولبن . وقد قال عبد الله بن وهب ^(٨٣) : حدثنا عمرو بن الحارث ، أن ذرّاجاً أبا الشفح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - [مرفوعاً : (طوبى) : شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها .

وقال الإمام أحمد ^(٨٤) : حدثنا حسن بن موسى ، سمعت عبد الله بن لهيعة ، حدثنا ذرّاج أبو السمح ، أن أبا الهيثم حدثه ، عن أبي سعيد الخدري ^[١] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن رجلاً قال : [يا رسول الله ^[٢] ، طوبى لمن رآك وآمن بك . قال : « طوبى لمن رأيته وآمن بي ، ثم طوبى ، ثم طوبى ، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ^[٣] . قال له رجل : وما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها .

وروى البخاري ومسلم جميعاً ^(٨٥) ، عن إسحاق بن راهويه ، عن مغيرة الخزومي ، عن وهيب ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » قال : فحدثت به النعمان بن أبي عياش الزرقى ، فقال : حدثني أبو سعيد الخدري ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجوّاد المضمرّ السريع مائة عام ما يقطعها » .

(٨٣) - إسناده ضعيف وهو صحيح ، أخرجه ابن جرير (٢٠٣٩٥/١٦) وابن أبي داود في « البعث » (٦٨) ، وابن حبان في صحيحه (٧٤١٣/١٦) - وهو في « الموارد » (٢٦٢٥/٨) - والآجري في « الشريعة » (٦٦٦/٢) من طرق عن ابن وهب به ، وهذا إسناده ضعيف ، لضعف دراج لاسيما في روايته عن أبي الهيثم لكن له شواهد يصح بها ، انظر « الصحيحة » للألباني (١٩٨٥/٤) ، وانظر ما بعده .
(٨٤) - كسابقه « المسند » (١١٦٩٠) (٧١-٧٠/٣) وأبو يعلى (١٣٧٤/٢) والخطيب في « تاريخ بغداد » (٩١/٤) من طريق ابن لهيعة به ، ولجزءه الأول شواهد ، انظرها في « الصحيحة » للألباني (١٢٤١/٣) ، وانظر ما قبله .

(٨٥) - أخرجه البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار (٦٥٥٣، ٦٥٥٢) ، ومسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : إن في الجنة شجرة (٢٨٢٧، ٢٨٢٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ت .

[٢] - في خ : « لرسول الله » .

[٣] - في ت : « يراني » .

وفي صحيح البخاري ^(٨٦) ، من حديث يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله : ﴿ وظل ممدود ﴾ قال : « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » .

وقال الإمام أحمد ^(٨٧) : حدثنا سريج ، حدثنا فليح ، عن هلال بن علي ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ^[١] ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ وظل ممدود ﴾ » . أخرجاه في الصحيحين .

وقال أحمد أيضًا ^(٨٨) : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة ، سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين - أو : مائة سنة - هي شجرة الخلد » .

وقال محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وذكر سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، قال : « يسيرُ في ظل الفَنَنِ ^[٢] منها الراكبُ مائة سنة - أو : قال - يستظل

(٨٦) - أخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٥١) ، دون ذكر الآية ، وكذلك أخرجه أحمد (٣/١١٠، ١٨٥، ٢٠٧، ٢٣٤) من طرق عن قتادة به ، دون ذكر الآية أيضًا ، وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (١١٨٣) وعنه الترمذي : كتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الواقعة » (٣٢٨٩) وأحمد (٣/١٦٤) عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحو لفظ « المصنف » وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(٨٧) - صحيح « المسند » (٢/٤٨٢) وأخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٥٢) وأخرجه أحمد (٢/٤١٨، ٢٥٧) والبخاري ، كتاب : التفسير ، باب : « وظل ممدود » (٤٨٨١) ، ومسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها ... باب : إن في الجنة شجرة ... (٧/٢٨٢٦) وأخرجه أحمد (٢/٤٥٢) ، ومسلم (٦/٢٨٢٦) والترمذي ، كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة شجر الجنة (٢٥٢٥) والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (٦/١١٥٦٤) من طريق أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة به نحوه وانظر ما بعده .

(٨٨) - « المسند » (٢/٤٥٥، ٤٦٢) وأخرجه الطيالسي (٢٥٤٧) وعبد بن حميد في « المنتخب » (١٤٥٧) والدارمي (٢٨٤٢) وابن ماجه في « التفسير » - كما في تهذيب الكمال « (٣٣/٤٣٣) وابن جرير (٢٧/١٨٣) وأبو نعيم في « صفة الجنة » (٣/٤٠٣) من طرق عن شعبة به في بعض الروايات « مائة عام » بغير شك ، وشيخ شعبة ، قال فيه أبو حاتم « لا أعلم روى عنه غير شعبة » « الجرح والتعديل » (٩/٣٩٥) وقال الذهبي في « الميزان » (٦/١٠٣٢٥) : « حدث عنه شعبة ، لا يعرف ، لكن شيوخ شعبة جياذ » ، وانظر ما قبله .

[٢] - في خ : « الغصن » .

[١] - سقط من : خ .

في الفن منها مائة راكب ، فيها فراش الذهب ، كأن ثمرها القلال»^(٨٩) رواه الترمذي .

وقال إسماعيل بن عياش^(٩٠) ، عن سعيد بن يوسف ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلام الأسود قال : سمعت أبا أمامة الباهلي قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من^[١] أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى ، فتفتح له أكمامها ، يأخذ^[٢] من أي ذلك شاء ، إن شاء أبيض ، وإن شاء أحمر ، وإن شاء أصفر ، وإن شاء أسود ، مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن » .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير^(٩١) : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : طوبى شجرة في الجنة ، يقول الله لها : « تفتقي لعبدي عما شاء ؛ فتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها ، وعن الإبل بأزمته ، وعما شاء من الكسوة » .

وقد روى ابن جرير^(٩٢) عن وهب بن منبه ههنا أثرًا غريبًا عجيبًا ، قال وهب رحمه الله : إن في الجنة شجرة يقال لها : « طوبى » ، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، زهرها رياط ، وورقها بُرود ، وقضبانها عنبر ، وبطحاًؤها ياقوت ، وترابها كافور ، ووحلها مسك ،

(٨٩) - حسن « الجامع » للترمذي كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة (٢٥٤٤) ثنا أبو كريب ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به وأخرجه أبو يعلى - كما في « النهاية » للمصنف (٤٢٠/٢ - ٤٢١) - والطبراني في « الكبير » (٢٣٤/٢٤) ، وابن جرير (٥٤/٢٧) النجم آية (١٤) وأبو نعيم في « صفة الجنة » (٤٣٥/٣) من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » وصححه الحاكم على شرط مسلم (٤٦٩/٢) ووافقه الذهبي ، قلت : ومسلم لم يخرج ليحيى بن عباد شيئاً ، وأخرج لمحمد بن إسحاق متابعة ثم إنه مدلس وقد نعن ، إلا أنه صرح بالتحديث عند هناد في « الزهد » (١١٥/١) أضف إلى ذلك أن الزبير بن بكار أفاد في « جمهرة أنساب قريش » ، (ص ٧٦) أنه كان مكثراً الحديث عن شيخه يحيى بن عباد .

(٩٠) - إسناده ضعيف ، أخرجه ابن أبي الدنيا - كما في « حادى الأرواح » لابن القيم (ص ٢٩١) - ٢٩٢) - ثنا محمد بن إدريس الخنظلي ، ثنا أبو عتبة ثنا إسماعيل بن عياش به ، وذكره المصنف في « النهاية » (٤٤٧/٢) وقال : « غريب حسن » وسعيد بن يوسف - وهو الرحبي - قال أحمد ليس بشيء وضعفه ابن معين والنسائي . ويحيى بن أبي كثير مشهور بالتدليس ، والحديث عزاه السيوطي (٤/ ١١٢) إلى ابن أبي شيبة في « صفة الجنة » وابن أبي حاتم .

(٩١) - تفسير ابن جرير (٢٠٣٨٤/١٦) وأخرجه أيضاً (٢٠٣٨٦) من طريق آخر وعبد الرزاق في تفسيره (٣٣٦/٢) عن معمر به ، وشهر بن حوشب وضعفه جماعة ، ووثقه آخرون ، والأثر زاد نسبته السيوطي (٤/ ١١١) إلى ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٩٢) - تفسير ابن جرير (٢٠٣٩٠/١٦) .

[٢] - في خ : « فيأخذ » .

[١] - سقط من خ .

يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل، وهي مجلس لأهل الجنة؛ فبينما هم في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم يقودون نُجُجًا مزومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصاييح حسنًا^[١]، ووبرها كخز المزعزي من لينه، عليها رجال ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس وإستبرق، [فينيخونها ويقولون]^[٢] : « إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه ». قال : فيركبونها، فهي أسرع من الطائر، وأوطأ من الفراش، نجبا من غير مَهْنَةٍ، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه، لا تصيب أذن راحلة منها أذن الأخرى، ولا [بَرَك راحلة]^[٣] بَرَك الأخرى^[٤]، حتى إن الشجرة لتتنحى عن طريقهم^[٥]؛ لئلا تفرق بين الرجل وأخيه، قال : فيأتون إلى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا : « اللهم، أنت السلام ومنك^[٦] السلام، وحق لك الجلال والإكرام ». قال : فيقول تبارك تعالى : [عند ذلك]^[٧] : « أنا السلام ومني السلام، وعليكم حقَّت رحمتي ومحبتي، مرحبا بعبادي الذين خشوني بغيب وأطاعوا أمري ». قال : فيقولون : « ربنا إنا^[٨] لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدرك حق قَدْرِكَ، فأذن لنا في السجود قدامك ». قال : فيقول الله : « إنها ليست بدار نصب ولا عبادة، ولكنها دار مُلْك ونعيم، وإني قد رفعت عنكم نَصْب العبادة، فسلوني ما شئتم، فإن لكل رجل منكم أمنيته ». فيسألونه، حتى إن أقصرهم أمنية ليقول : « رب، تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها، رب فأتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا ». فيقول الله تعالى : « لقد قصرت بك أمنيته، ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك مني، [وسأتحفك بمنزلي]^[٩]، لأنه ليس في عطائي نكد ولا تَضْرِيءَ ». قال : ثم يقول : « اعرضوا على عبادي ما لم يبلغ أمانيتهم، ولم يخطر لهم على بال ». قال : فيعرضون عليهم حتى [تَقْصُر بهم]^[١٠] [أمانيتهم التي في أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين^[١١] مُقَرَّنة، على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة، على كل سرير منها قبة من ذهب مُفَرَّغة، في كل قبة منها فُرْش من فُرْش الجنة مُتَظَاهرة، في كل

[١] - في ابن جرير : من حسننها .

[٢] - في خ : « فيفتحنونها يقولون » . [٣] - في خ : « يزل راحلة » .

[٤] - كذا في ابن جرير، ورجح العلامة / محمود شاكر أنه مصحف من [ولا ورك راحلة ورك صاحبته].

[٥] - في ابن جرير : طرقهم . [٦] - في خ : « وإليك » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٨] - زيادة من ابن جرير .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١٠] - سقط من : خ .

[١١] - في ابن جرير : يقضوهم .

[١٢] - في خ : « برادين » .

قبة منها جاريتان من الحور العين، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة، وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما، ولا ريح طيبة^[١] إلا قد [عبقنا به، ينفذ ضوء]^[٢] وجوههما غلظ القبة، حتى يظن من يراها أنهما دون القبة، يرى مخهما من فوق سوقهما، كالسلك الأبيض في^[٣] ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل على صاحبه كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، ويرى هو لهما مثل ذلك، ويدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه [ويتعلقان به]^[٤]، ويقولان له: «والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك». ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفًا في الجنة، حتى ينتهي بكل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له.

وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده^(٩٣)، عن وهب بن منبه، وزاد: فانظروا إلى موهوب ربكم الذي وهب لكم، فإذا هو بقباب في الرفيق الأعلى، وغُرف مبنية من الدر والمرجان، وأبوابها من ذهب، وسررها من ياقوت، وفرشها من سندس وإستبرق، ومنابرها من نور، يُقَوَّر من أبوابها وعراصها^[٥] نور مثل شعاع الشمس، عنده مثل الكوكب الدرّي في النهار المضيء، وإذا بقصور شامخة في أعلى عليين من الياقوت يزهر نورها، فلولا أنه مسخر إذا لالتمع الأبصار، فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض^[٦]، فهو مفروش بالحرير الأبيض، وما كان فيها من الياقوت الأحمر فهو مفروش بالعقري الأحمر، وما كان فيها من الياقوت الأخضر، فهو مفروش^[٧] بالسندس الأخضر، وما كان فيها^[٨] من الياقوت الأصفر، فهو مفروش بالأرجوان الأصفر^[٩] منزّه^[١٠] بالزمرّد الأخضر، والذهب الأحمر، والفضة البيضاء، قوائمها^[١١] وأركانها من الجواهر، وشُرْفها قباب من لؤلؤ، وبروجها غُرف من المرجان، فلما انصرفوا إلى ما أعطاهم ربهم قُربت لهم براذين من ياقوت أبيض، منفوخ فيها الروح، تجنبها الولدان المخلدون، بيد كل وليد منهم حكمة برّودون من تلك البراذين، ولجمها وأعتنتها من فضة بيضاء، منظومة بالدر والياقوت، شُروجها سرُور موضونة، مفروشة بالسندس والإستبرق، فانطلقت بهم تلك البراذين تَرَفُّ بهم بيطن^[١٢].

(٩٣) - وأورده السيوطي في « الدر المنثور » (١١٣/٤-١١٤).

- [١] - في خ: « طلبت » .
 [٢] - في خ: « عبت بتعرض » .
 [٣] - في ابن جرير: من .
 [٤] - في ابن جرير: يعانقانه .
 [٥] - في الدر المنثور (١١٤/٤) : « وأعراسها » . [٦] - في خ: « الأحمر » .
 [٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
 [٨] - في خ: « منها » .
 [٩] - في خ: « الأحمر » .
 [١٠] - في ابن أبي حاتم: مبوبة .
 [١١] - في ابن أبي حاتم: « قواعدها » .
 [١٢] - في الدر: « وتطأ » .

رياض الجنة. فلما انتهوا إلى منازلهم، وجدوا الملائكة قُعُودًا على منابر من نور، ينتظرونهم ليزورهم ويصافحهم ويهتفونهم كرامةً ربهم. فلما دخلوا قصورهم وجدوا فيها جميع ما تَطَاوَل به عليهم وما سألوا وتمنوا، وإذا على باب كل قصر من تلك القصور أربعة جنان، جنتان^[١] ذواتا أفنان، وجنتان مُذهامتان، وفيهما عينان نضاختان، وفيهما من كل فاكهة زوجان، وحوار مقصورات في الخيام، فلما تَبَيَّنُوا^[٢] منازلهم واستقروا قرارهم قال لهم ربهم: هل وجدتم ما وعدتكم حقًا؟ قالوا: نَعَمْ، وَزِينًا. قال: هل رضيتم ثواب ربكم؟ قالوا: ربنا، رضيينا فارض عنا. قال: برضاي^[٣] عنكم حللتهم داري، ونظرتم إلى وجهي، وصافحتكم^[٤] ملائكتي، فهنيئًا هنيئًا لكم، ﴿عطاء غير مجدوذ﴾، ليس فيه تنغيص ولا تصريح. فعند ذلك قالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، وأدخلنا دار المقامة من فضله، لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب، إن ربنا لغفور شكور.

وهذا سياق غريب، وأثر عجيب ولبعضه شواهد، ففي الصحيحين^(٩٤): أن الله تعالى يقول لذلك الرجل الذي يكون آخر أهل الجنة دخولاً الجنة: «تَمَنَّ»، فتمننى، حتى إذا انتهت به الأماني يقول الله تعالى: «تَمَنَّ من كذا، وتَمَنَّ من كذا» يذكره ثم يقول: «ذلك لك، وعشرة أمثاله».

وفي صحيح مسلم^(٩٥)، عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن الله - عز وجل - : «يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل في البحر»... الحديث بطوله.

وقال خالد بن معدان: إن في الجنة شجرة يقال لها: طوبى، لها^[٥] ضروع كلها تُرَضع صبيانَ أهل الجنة، وإن سَقَطَ المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة، يتقلب فيه حتى تقوم القيامة، فيبعث ابن أربعين سنة. رواه ابن أبي حاتم^(٩٦).

(٩٤) - أخرجه البخاري، كتاب: الأذان، باب: فضل السجود (٨٠٦)، ومسلم: كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (٢٩٩) (١٨٢)، وأحمد (٢٧٥/٢، ٢٩٣، ٥٣٤) ضمن حديث الرؤية الطويل من مسند أبي هريرة وأبي سعيد، وأخرجه مختصرًا النسائي (٢٢٩/٢) وفي الكبرى (٦/ ١١٤٨٨، ١١٦٣٧) وابن ماجه (٤٣٢٦).

(٩٥) - تقدم تخريجه (يونس / آية ٤٤).

(٩٦) - وزا نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (١١٢/٤) إلى ابن أبي الدنيا في «الغراء».

- [١] - سقط من: خ .
[٢] - في الدر: «تبوأوا» .
[٣] - في خ: «رضاي» .
[٤] - في الدر: «وصافحتكم» .
[٥] - سقط من: خ .

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِسِتَلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

مَتَاب (٣٠)

يقول تعالى: وكما أرسلناك يا محمد في هذه الأمة ﴿لستلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾، أي: تبليغهم رسالة الله إليهم، كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة بالله، وقد كُذِّبَ الرسل من قبلك، فلك فيهم أسوة، وكما أوقعنا بأسنا ونقمنا بأولئك، فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم، فإن تكذيبهم لك أشد من تكذيب غيرك من المرسلين، قال الله تعالى: ﴿تَاللَّهِ^[١] لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَوَيْلٌ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَهُمْ وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ، فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْذَوْا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا، وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾، أي: كيف نصرناهم، وجعلنا العاقبة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾، أي: هذه الأمة^[٢] التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن، لا يقرون به، لأنهم كانوا يأنفون^[٣] من وصف الله بالرحمن الرحيم، ولهذا أنفوا يوم الحديبية أن يكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم» وقالوا: ما ندري ما الرحمن الرحيم؟ قاله^[٤] قتادة، والحديث في صحيح البخاري^(٩٧)، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، وفي صحيح مسلم^(٩٨) عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنْ أَحَبَّ الْأَسْمَاءُ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ».

(٩٧) - صحيح البخاري كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد ... (٢٧٣١، ٢٧٣٢) - وانظر أطرافه عند رقم (١٦٩٤) - وأخرجه أحمد (١٨٩٦٣، ١٨٩٨١) (٣٢٨، ٣٢٣/٤) وأبو داود (٢٧٦٥، ٤٦٥٥)، والنسائي (١٧٠، ١٦٩/٥) من حديث المسور بن مخرمة.

(٩٨) - صحيح مسلم كتاب: الآداب، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء (٢) (٢١٣٢) وأخرجه أيضًا أحمد (٢٤/٢) وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: في تغيير الأسماء (٤٩٤٩)، والترمذي كتاب: الأدب، باب: ما جاء ما يستحب من الأسماء (٢٨٣٥، ٢٨٣٦) وابن ماجه كتاب: الأدب، باب: ما يستحب من الأسماء (٣٧٢٨).

[٢] - سقط من: خ.

[٤] - في خ: «قال».

[١] - سقط من: خ.

[٣] - في خ: «يأبون».

﴿قل هو ربي لا إله إلا هو﴾ ، [أي : هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به معترف مقر له بالربوبية والإلهية هو ربي لا إله إلا هو]^[١] ، ﴿عليه توكلت﴾ ، أي^[٢] : في جميع أموري ، ﴿وإليه متاب﴾ ، أي : إليه أرجع وأنيب ، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه .

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا فَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى مادحاً للقرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومفضلاً له على سائر الكتب المنزلة قبله : ﴿ولو أن قرآننا سيرت به الجبال﴾ ، [أي : لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال]^[٣] عن أماكنها ، أو تقطع به الأرض وتنشق ، أو تكلم به الموتى في قبورها ، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره ، أو^[٤] بطريق الأولى أن يكون كذلك ، لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس^[٥] والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله ، ولا بسورة من مثله ، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به جاحدون له ، ﴿بل لله^[٦] الأمر جميعاً﴾ ، أي : مرجع الأمور كلها إلى الله - عز وجل - ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ومن يضل الله^[٧] فلا هادي له ، ومن يهد الله [فلا مضل له]^[٨] .

وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة ، لأنه مشتق من الجميع^[٩] ، قال الإمام أحمد (٩٩) :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال :

(٩٩) - صحيح « المسند » (٣١٤/٢) ، وأخرجه البخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : قوله تعالى ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ (٣٤١٧) حدثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق به ، ويذكره المصنف (سورة الإسراء / آية ٥٥) من طريق آخر للبخاري .

- | | |
|-------------------------------------|---|
| [١] - ما بين المعكوفين سقط من : خ . | [٢] - سقط من : خ . |
| [٣] - ما بين المعكوفين سقط من : خ . | [٤] - في ت : « أبو » . |
| [٥] - في خ : « الإنسان » . | [٦] - ما بين المعكوفين في خ : « فله » . |
| [٧] - سقط من : ت . | [٨] - في خ : « فما له من مضل » . |
| [٩] - في خ : « الجمع » . | |

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « خَفَّفْتُ^[١] على داود - عليه السلام - القراءة ، فكان^[٢] يأمر بدابته [أن تُسرج^[٣]] ، فكان يقرأ القرآن من^[٤] قبل أن تُسرج دابته ، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه . انفراد بإخراجه البخاري .

والمراد بالقرآن هنا الزبور .

وقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَأْسَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، أي : من إيمان جميع الخلق ويعلموا أو يتبينوا ﴿ أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، فإنه ليس ثَمَّ حجة ولا معجزة أبلغ ولا أنجح في النفوس والعقول من هذا القرآن ، الذي لو أنزله الله على جبل لرأيت خاشعًا متصدعًا من خشية الله ، وثبت في الصحيح^(١٠٠) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبي إلا وقد أوتي ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » ، معناه أن معجزة كل نبي انقضت بموته ، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد ، لا تنقضي عجائبه ، ولا يَخْلُقُ عن كثرة الرد ، ولا يشبع منه العلماء ، هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله .

وقال ابن أبي حاتم^(١٠١) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا منجاب بن الحارث ، أنبأنا بشر بن عمارة ، حدثنا عمر بن حسان ، عن عطية العوفي قال : قلت له : ﴿ وَلَوْ أَنْ قَرَأْنَا سِيرَتَ بِهِ الْجِبَالِ ﴾ ... الآية قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم : لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحترث فيها ، أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح ، أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى لقومه ؟ فأنزل الله هذه الآية . قال : قلت : هل تروون هذا الحديث عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وكذا روى عن^[٥] ابن عباس^(١٠٢) ، والشعبي ، وقتادة ، والثوري ، وغير واحد في سبب

(١٠٠) - صحيح ، تقدم تخريجه (سورة يونس / آية ٣٨) .

(١٠١) - عطية العوفي ، وبشر بن عمارة ضعيفان ، والحديث زاد نسبه السيوطي (١١٧/٤) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

(١٠٢) - أخرجه ابن جرير (٢٠٣٩٩/١٦) من طريق عطية العوفي أيضا عنه بنحو السابق ، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه .

[٢] - في المسند : « وكان » .

[٤] - ساقطة من المسند .

[١] - سقط من : خ .

[٣] - في المسند : « فترسج » .

[٥] - سقط من : ت .

نزول هذه الآية ، فאלله أعلم .

وقال قتادة : لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم ، فُعل بقرآنكم .

وقوله : ﴿ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ ، قال ابن عباس ^(١٠٣) : لا يصنع من ذلك إلا ما يشاء ، ولم يكن ليفعل . رواه ابن إسحاق بسنده عنه ، وقاله ابن جرير أيضًا .

وقال غير واحد من السلف في قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَأْسَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، أفلم يعلم الذين آمنوا . وقرأ آخرون ، (أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا) .

[وقال أبو العالية : قد يس الذين آمنوا أن يهدوا ، ولو يشاء الله لهدى الناس جميعًا] ^[١] .

وقوله : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَصِيَهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُ قَرْيَةً مِنْ دَارِهِمْ ﴾ ، أي : بسبب تكذيبهم لا تزال القوارع تصيهم في الدنيا ، أو تصيب من حولهم ليتعضوا ويعتبروا ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيِ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ أَفَلَا ^[٢] يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

قال قتادة ، عن الحسن : ﴿ أَوْ تَحُلُ قَرْيَةً مِنْ دَارِهِمْ ﴾ ، أي القارعة . وهذا هو الظاهر من السياق .

وقال أبو داود الطيالسي ^(١٠٤) : حدثنا المسعودي ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَصِيَهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً ﴾ ، قال : سرية ، ﴿ أَوْ تَحُلُ قَرْيَةً مِنْ دَارِهِمْ ﴾ ، قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ ﴾ ، قال : فتح مكة .

وهكذا قال عكرمة ، وسعيد بن جبیر ، ومجاهد ، في رواية .

(١٠٣) - لم أهتم إليه .

(١٠٤) - حسن ، أخرجه من طريقه ابن جرير (٢٠٤١٨/١٦) وأخرجه البيهقي في « الدلائل » (١٦٨/٤) من طريق عاصم بن علي عن المسعودي به ، والمسعودي - واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود - صدوق لكنه اختلط ، وقد سمع منه الطيالسي وعاصم بن علي بعد الاختلاط ، لكن رواه ابن جرير (٢٠٤١٩/١٦ ، ٢٠٤٢٠) من طريق وكيع وأبو قطن عمرو بن الهيثم عنه به وكلاهما سمع منه قبل الاختلاط (انظر « الكواكب النيرات » (ص ٢٨٢) ، وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٩) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه .

[٢] - في خ : « أفلم » .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .

وقال العوفي ^(١٠٥)، عن ابن عباس: ﴿تصيههم بما صنعوا قارعة﴾، قال: عذاب من السماء ينزل عليهم - ﴿أو تحل قرية من دارهم﴾، يعنى نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقتاله لإياهم.

وكذا قال مجاهد، وقتادة، وقال عكرمة في رواية عنه، عن ابن عباس: ﴿قارعة﴾، أي: نكبة.

كلهم قال: ﴿حتى يأتي وعد الله﴾، يعني فتح مكة. وقال الحسن البصري: يوم القيامة.

وقوله: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ أي: لا ينقض ^[١] وعده لرسله بالنصرة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة، ﴿فلا﴾ ^[٢] تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام.

وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسِلَ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ

عَقَابِ

يقول تعالى مسلماً لرسوله صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه: ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾، أي: فلك فيهم أسوة، ﴿فأمليت للذين كفروا﴾، أي: أنظرتهم وأجلتهم، ﴿ثم أخذتهم﴾ أخذة رابية، فكيف بلغك ما صنعت بهم وعاقبتهم؟، كما قال تعالى: ﴿وكأين﴾ ^[٣] من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير، وفي الصحيحين ^(١٠٦): «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾.

أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ

(١٠٥) - أخرجه ابن جرير (٢٠٤٢٣٢/١٦)، والعوفي ضعيف، وزاد نسبه السيوطي (١٩/٤) إلى ابن مردويه.

(١٠٦) - صحيح، تقدم تخريجه (سورة هود / آية ١٩).

[٢] - في خ: «ولا».

[١] - في خ: «ينقص».

[٣] - في ت: «كأين».

تَتَّبِعُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يُظْهِرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس [بما كسبت]^[١]﴾، أي: حفيظ عليم رقيب على كل نفس منقوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية، ﴿وما تكون في شأن، وما تتلو منه من قرآن، ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه﴾، وقال تعالى: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾، وقال: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾، وقال: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وساربان النهار﴾، وقال: ﴿يعلم السر وأخفى﴾، وقال: ﴿وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾... أفمن هو هكذا كالأصنام التي يعبدونها، لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ولا تملك^[٢] نفعا لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضرعها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه، وهو قوله: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾، أي: عبدوها معه، من أصنام وأنداد وأوثان.

﴿قل سموهم﴾، أي: أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يُعرفوا، فإنهم لا حقيقة لهم، ولهذا قال: ﴿أم تتبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾، أي: لا وجود له؛ لأنه لو كان له وجود في الأرض لعلمه، لأنه لا تخفى عليه خافية.

﴿أم بظاهر من القول﴾ - قال مجاهد: بظن من القول.

وقال الضحاك وقتادة: بباطل من القول.

أي: إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر، وسميتوها آلهة، ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾.

﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾، قال مجاهد: قولهم. أي: ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف النهار كما قال تعالى: ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم، وحق عليهم القول في أم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين﴾.

[١] - سقط من: خ.

[٢] - سقط من: خ.

﴿وَصَدُّوا عَنْ السَّبِيلِ﴾، من قرأها بفتح الصاد، معناه أنهم لما زين لهم ما هم ^[١] فيه وأنه حق دَعَا إليه ^[٢] وَصَدُّوا الناس عن اتباع طريق الرسل، ومن قرأها: ﴿وَصَدُّوا﴾، أي: بما زين لهم من صحة ما هم عليه صَدُّوا به عن سبيل الله، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يَضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾، كما قال: ﴿وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ وقال: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يَضِلُّ، وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾
 ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ
 وَظُلُّهَا نَارٌ كَقَوْنِ النَّارِ﴾

ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار: فقال بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي: بأيدي المؤمنين قتلاً وأسراً، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾، أي: المَذْخَر مع هذا الحزني في الدنيا ﴿أَشَقُّ﴾، أي: من هذا بكثير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين ^(١٧): «إِنْ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ». وهو كما قال - صلوات الله وسلامه عليه - فَإِنْ عَذَابَ الدُّنْيَا لَهُ انْقِضَاءٌ، وَذَلِكَ دَائِمٌ أَبَدًا فِي نَارٍ هِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ سَبْعُونَ ضِعْفًا وَوِثَاقٌ لَا يَتَصَوَّرُ كَثَافَتَهُ وَشِدَّتَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ. وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا. إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا. وَإِذَا أَلْقَاوُا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرِنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا. لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا. قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾.

ولهذا قرن هذا بهذا، فقال: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾، أي: صفتها ونعتها، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، أي: سارحة في أرجائها وجوانبها، وحيث شاء أهلها، يفجرونها تفجيرًا، أي: يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

(١٠٧) - يأتي تخريجه (سورة النور / آية رقم ١٠) .

[٢] - في خ: «الله» .

[١] - سقط من: ت .

وقوله: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾، أي: فيها المطاعم^[١] والفواكه والمشارب، لا انقطاع ولا فناء.

وفي الصحيحين^(١٠٨)، من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف، وفيه قالوا^[٢]: قالوا: يا رسول الله؛ رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا، ثم رأيناك تكفكعت^[٣] فقال: «إني رأيت الجنة - أو: أريت الجنة - فتناولت منها عتقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا».

وقال الحافظ أبو يعلى^(١٠٩): حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبيد الله، حدثنا أبو عقيل، عن جابر قال: بينما نحن في صلاة الظهر، إذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر. فلما قضى الصلاة قال له أيُّ بن كعب: يا رسول الله، صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما رأيناك كنت تصنعه. فقال: «إني عرضت عليّ الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطعاً من عنب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه، ولو آتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا يثْقُصُونه».

وروى مسلم^(١١٠) من حديث أبي الزبير، عن جابر، شاهداً لبعضه.

(١٠٨) - أخرجه البخاري، كتاب: الكسوف، باب: صلاة الكسوف جماعة (١٠٥٢) - وانظر أطرافه عند رقم (٢٩) - ومسلم، كتاب: الكسوف، باب: ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم - في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (١٧) (٩٠٧) - من طريق مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس به وهو في «الموطأ» كتاب: صلاة الكسوف: باب: العمل في صلاة الكسوف (٢) ومن طريقه أحمد (٣٥٨، ٢٩٨/١) وأبو داود (١١٨٩) والنسائي (١٤٦/٣) مطولاً ومختصراً، وأخرجه مسلم أيضاً من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم به.

(١٠٩) - لم أقف عليه في المطبوع من مسنده، وسيعيده المصنف - كما هنا - في (سورة الواقعة) وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (١٠٣٦) وأحمد (١٤٨٤٣) (٣٥٢/٣)، (٢١٣٢٩) (١٣٧/٥) - ومن طريقه اختاره الضياء في «المختارة» (١١٩٣/٣) - من طرق ثلاثة عن عبيد الله بن عمرو به، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٩٠/٢-٩١) وقال: «رواه أحمد - ولم يعزه لأبي يعلى - وروى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثله، وفي الإسنادين عبد الله بن محمد بن عقيل وفيه ضعف وقد وثق» قلت: وحديث أبي الذي أشار إليه الهيثمي، أخرجه أحمد أيضاً (٢١٣٣٠) (١٣٨/٥) - ومن طريقه الضياء (١١٩٤) - والحاكم (٦٠٤-٦٠٥) عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الصفي بن أبي بن كعب عن أبيه بنحوه وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، وانظر بعده.

(١١٠) - صحيح مسلم كتاب: الكسوف، باب: ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في =

[٢] - زيادة من: ت.

[١] - في خ: «الطعام».

[٣] - في خ: «تكلت».

وعن عتبة بن عبد السلمي : أن أعرابياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجنة ، فقال : فيها عنب ؟ « قال : نعم » ، قال : فما عظم العنقود ؟ قال : « مسيرة شهر للغراب الأبقع ولا يفتر » . رواه أحمد ^(١١١) .

وقال الطبراني ^(١١٢) : حدثنا معاذ بن المثني ، حدثنا علي بن المديني ، حدثنا ربحان بن سعيد ، عن عباد بن منصور ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل إذا نزع ثمرة ^[١] من الجنة عادت مكانها أخرى » .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ^[٢] ولا يتغوطون ولا يولون ، طعامهم نجشاء كريح المسك ، ويلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس » ، رواه مسلم ^(١١٣) .

= صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، (٩٠٤/٩) ، وأخرجه أيضاً أحمد (١٥٠٦١) (٣٧٤/٣) وأبو داود (١١٧٩) ، والنسائي (١٣٦/٣) من طريق أبي الزبير عن جابر ببعضه ، وانظر ما قبله .

(١١١) - صحيح ، « المسند » (١٧٦٩٣) (١٨٤/٤) مطولاً وأخرجه ابن جرير (٢٠٣٩٣/١٦) ، والطبراني في « الكبير » (١٧/رقم ٣١٢٣١٣) وفي « الأوسط » (٤٠٢/١) - ومن طريقه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٣٤٦/٢) ، والفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٣٤١/٢-٣٤٢) ، والبيهقي في « البعث » (٢٧٤) وابن عبد البر في « التمهيد » (٣٢٠/٣-٣٢١) مطولاً ومختصراً ، وصححه ابن حبان (٦٤٥٠/١٤) ، (١٦/٧٢٤٧، ٧٤١٤، ٧٤١٦) ، وفي إسناده عامر بن زيد البكالي قال الهيثمي في « الجمع » (٤١٧/١٠) : « ذكره ابن أبي حاتم - (٦/ت ٧٩٢) - ولم يجرحه ولم يوثقه ، وبقية رجاله ثقات » قلت : وكذا ذكره البخاري في « التاريخ الكبير » (٤٥٢/٦) ، ووثقه ابن حبان « الثقات » (١٩١/٥) وقال ابن كثير في « نهاية البداية » (١٥٧/٢) : « قال الحافظ الضياء لا أعلم لهذا الإسناد - إسناده الطبراني - علة » وأخرج ابن أبي عاصم في « السنة » (٧١٥، ٧١٦) جزءاً من الحديث الطويل بنفس الإسناد غير أنه وقع عنده عمرو بن زيد البكالي وأفاد الألباني نقلاً عن ابن حجر أن عمراً هذا صحابي (وذهب الألباني : إلى أن عامراً محرف أو خطأ من بعض الرواة ثم قال : « وغاية ما في الأمر أن الرواة اختلفوا في اسمه » .

(١١٢) - إسناده ضعيف ، « المعجم الكبير » (١٤٤٩/٢) ، وذكره الهيثمي في « الجمع » (٤١٧/١٠) وقال : « رواه الطبراني والبخاري ... رجال الطبراني وأحد إسناده البزار ثقات » وبعده المصنف (سورة الواقعة / آية ٢١) وذكره في « صفة الجنة » كما هنا وقال : « قال الحافظ الضياء : عباد تكلم فيه بعض العلماء » قلت : ضعفه ابن المديني وابن معين والنسائي وقال أبو زرعة : لين وقال ابن سعد : ضعيف له أحاديث منكرة ، ومع ضعفه فهو مدلس وقد عنعن ، والراوي عنه : صدوق ربما أخطأ كما في « التقریب » وأروده الألباني في « ضعيف الجامع الصغير » (١٤٤٦/١) .

(١١٣) - صحيح ، تقدم تخريج (سورة يونس / آية ١٠) .

[١] - ساقطة من المطبوع من المعجم « الكبير » . [٢] - في ت : « يمتخطون » .

وروى الإمام أحمد والنسائي^(١١٤) ، من حديث الأعمش ، عن ثمامة^[١] بن عتبة ، سمعت زيد بن أرقم قال : جاء رجل من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم ، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : « نعم ، والذي نفس محمد بيده ، [إن الرجل منهم]^[٢] يعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة » . قال : فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، وليس في الجنة أذى ؟ قال : « حاجة أحدهم رشح يفيض من جلودهم ، كريح^[٣] المسك ، فيضمر بطنه » .

وقال الحسن بن عرفة^(١١٥) : حدثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأعرج ، عن عبد^[٤] الله ابن الحارث عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال لي^[٥] رسول الله صلى الله

(١١٤) - إسناده صحيح ، أخرجه أحمد (١٩٣٢٤، ١٩٣٦٩، ٣٧١، ٣٦٧/٤) والنسائي في « التفسير » (١١٤٧٨/٦) والمروزي في زيادات « الزهد » لابن المبارك (١٤٥٩) وابن أبي شيبة في « المصنف » (٨/٧٣ رقم ٤١) وهناد في « الزهد » (٩٠، ٦٢/١) وعبد بن حميد في « المنتخب » (٢٦٣) والدارمي في « السنن » (٢٨٢٨) والبزار (٣٥٢٢/٣، ٣٥٢٣- كشف) وصححه ابن حبان (٧٤٢٤/١٦) ، والطبراني في « الكبير » (١٧٨، ١٧٧/٥) وفي « الأوسط » (١٧٢٢/٢) (٨٨٧٦/٨) وأبو نعيم في « الحلية » (٧/٣١٦) (١١٦/٨) وفي « صفة الجنة » (٣٢٩/٣) والبيهقي في « البعث » (٣١٧) والمزي في « تهذيب الكمال » (٤٠٨/٤) ترجمة / ثمامة بن عتبة (كلهم من طرق عن الأعمش به وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٥/رقم ٥٠١٠) و « الأوسط » (٧٧٤١/٧) من طريق هارون بن سعد عن ثمامة به نحوه وسمى الرجل الذي سأله « ثعلبة بن الحارث » ، وذكره الهيثمي في (٤١٩/١٠) بالروايتين - وقال : « رواه كله الطبراني في الأوسط وفي الكبير بنحوه وأحمد ... ورواه البزار ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عتبة وهو ثقة » وذكره المصنف في « صفة الجنة » (٨٦) ونقل عن الضياء المقدسي قال : « هذا عندي على شرط مسلم ، لأن ثمامة ثقة ، وقد صرح بسماعه من زيد بن أرقم » .

(١١٥) - إسناده ضعيف ، لضعف حميد الأعرج . الحسن بن عرفة في جزئه (صد ٥٣) (٢٢) ومن طريقه البزار في مسنده (٢٠٣٢/٥) والمروزي في زوائد « الزهد » لابن المبارك (١٤٥٢) والبيهقي في « البعث » (٣١٨) ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٣٢٩) وأبو يعلى - كما في « المطالب العالية » (١٠/٥٢٠) - ومن طريقه ابن عدي في « الكامل » (٦٨٩/٢) ت : حميد الأعرج - والعقيلي في « الضعفاء » (٢٦٨/١) ، والهيثم بن كليب في مسنده (٨٥٨) وأبو نعيم في « صفة الجنة » (٣٤١/٣) ، والمروزي والبيهقي ، من طرق عن خلف بن خليفة به وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤١٧/١٠) وقال : « رواه البزار وفيه حميد بن عطاء الأعرج وهو ضعيف » قلت : ضعفه أحمد ووهاه أبو زرعة وقال الدارقطني والذهبي : « متروك » وقال ابن حبان : « يروى عن ابن الحارث ، عن ابن مسعود ، نسخة موضوعة » . وعبد الله بن الحارث لم يسمع من ابن مسعود شيئاً ، قاله علي بن المديني « جامع التحصيل » للعلائي (ص ٢٠٨) .

[١] - في ز : « تمام » . والمثبت من مصادر التخريج .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٣] - في خ : « كرشح » .

[٤] - في خ : « عبيد » . [٥] - سقط من : خ .

عليه وسلم : « إنك لتنظر إلى الطير في الجنة ، فيخر بين يديك مشويًا » .

وجاء في بعض الأحاديث ^(١١٦) : أنه إذا فُرج منه عاد طائرًا [كما كان] ^[١] بإذن الله تعالى .

وقد قال تعالى : ﴿ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ ، وقال : ﴿ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا ﴾ .

وكذلك ظلها لا يزول ولا يقلص ، كما قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا لهم فيها أزواج مطهرة ، وندخلهم ظلًا ظليلًا ﴾ .

وقد تقدم في الصحيحين ^(١١٧) من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجرد الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها » ، ثم قرأ : ﴿ وظل ممدود ﴾ .

وكثيرًا ما يقرن الله تعالى ^[٢] بين صفة الجنة وصفة النار ، ليرغب في الجنة ويحذر من النار ، ولهذا لما ذكر صفة الجنة بما ذكر ، قال بعده : ﴿ تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ .

وقال بلال بن سعد خطيب دمشق في بعض خطبه : [عباد الله] ^[٣] ، هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئًا من عبادتكم تُقبلت منكم ، أو أن شيئًا من خطاياكم غفرت لكم ؟ ﴿ أفحسبتم ﴾ ^[٤] أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ ، والله لو عُجل لكم الثواب في

= والحديث زاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٢٠/٦) سورة الواقعة / آية ٢١ (إلى ابن مردويه والحديث يذكره المصنف (سورة ق آية ٣٥ ، سورة الواقعة آية ٢١) .

(١١٦) - ورد ذلك من حديث أبي سعيد الخدري عند هناد في « الزهاد » (١١٩/١) وإسناده ضعيف ، وعنده أيضًا (١١٨) عن الحسن مرسلاً ، وفي الباب عن ابن مسعود عند ابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٢٢١/٦) - وعن ميمونة عند ابن أبي الدنيا - كما في « الدر المنثور » و « الترغيب والترهيب » للمنزري (٥٢٧/٤) - وعن كعب الأبحار موقوفًا يأتي (سورة الواقعة / آية ٢١) وعن مُغيث بن سمي من قوله عند هناد (١٢٠) وابن المبارك (زيادات نعيم ٢٦٨) وأبو نعيم في « الحلية » (٦٨/٦) .

(١١٧) - صحيح تقدم برقم (٨٥) وانظر أيضًا رقم (٨٦، ٨٧) .

[٢] - سقط من : خ .

[١] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « أم حسبت » .

[٣] - في خ : « عباد الرحمن » .

الدنيا لاستقللتكم كلكم ما افترض عليكم، أو ترغبون في طاعة الله لتعجيل دنياكم، ولا تنافسون في جنة ﴿أكلها دائم وظلها﴾ تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴿١١٨﴾ .
رواه ابن أبي حاتم

وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلْكَتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ
بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٦﴾
وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ
مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى: ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾، وهم قائلون بمقتضاه، ﴿يفرحون بما أنزل إليك﴾، أي: من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به، كما قال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾. وقال تعالى: ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً﴾، أي: إن كان ما وعدنا الله به في كتبنا من إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لحقاً وصدقاً مفعولاً لا محالة، وكائناتاً، فسبحانه ما أصدق وعده، فله الحمد وحده، ﴿ويخرون للأذقان يكونون ويزيدهم خشوعاً﴾.

وقوله: ﴿ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾، أي: ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إليك.

وقال مجاهد: ﴿ومن الأحزاب﴾: اليهود والنصارى، من ينكر بعض ما جاءك من الحق. وكذا قال قتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وهذا كما قال تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله، لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، أولئك لهم أجرهم عند ربهم، إن الله سريع الحساب﴾.

﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به﴾، أي: إنما بعثت بعبادة الله وحده لا

(١١٨) - رواه أيضاً أبو نعيم في «الحلية» (٢٣١/٥-٢٣٢) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨٢/٣) - مخطوط (بإسناد حسن).

شريك له ، كما أرسل الأنبياء من قبلي ، ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوكَ﴾ ، أي : إني سبيله أَدْعُو الناس ، ﴿وَالِيهِ مَأْبُوكَ﴾ ، أي : مرجعي ومصيري .

وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حَكَمًا عَرَبِيًّا﴾ ، أي : وكما أرسلنا قبلك المرسلين ، وأنزلنا عليهم الكتب من السماء ، كذلك أنزلنا عليك القرآن محكمًا معربًا ، شرفناك به وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب المبين الواضح الجلي الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ .

وقوله : ﴿وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ، أي : آراءهم ، ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ، أي : من الله تعالى ، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ . وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبيل أهل الضلالة بعد ما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة الحمديدية ، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى : وكما أرسلناك يا محمد رسولاً بشرياً كذلك بعثنا المرسلين قبلك بشراً يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ويأتون الزوجات ، ويولد لهم ، وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ، وقد قال تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ .

وفي الصحيحين^(١١٩) : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : «أَنَا أَنَا فَأَصُومُ وَأَفْطِرُ ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ ، وَأَكُلُ الدَّسْمَ وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي» .

وقال الإمام أحمد^(١٢٠) : حدثنا يزيد ، أنبأ الحجاج بن أرطاة ، عن مكحول قال : قال أبو أيوب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَرَبْعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ : التَّعَطُّرُ ، وَالنِّكَاحُ ،

(١١٩) - أخرجه البخاري : كتاب : النكاح ، باب : الترغيب في النكاح (٥٠٦٣) ، ومسلم : كتاب النكاح ، باب : استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤنة ... (٥) (١٤٠١) والنسائي ، كتاب : النكاح ، باب : النهي عن التبتل (٦٠/٦) ، وأحمد (٢٤١/٣) ، (٢٥٩، ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك ، وليس فيه «وأكل الدسم ...» .

(١٢٠) - إسناده ضعيف «المسند» (٢٣٦٨٩) (٤٢١/٥) مقروناً بـ «يزيد بن هاون» محمد بن يزيد عن حجاج به ، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (كتاب : الطهارة ، باب : ما ذكر في السواك) (١/١٩٧) وعبد بن حميد في «المنتخب» (٣٢٠) ثنا يزيد بن هارون به وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» =

والسواك، والحناء^[١]».

وقد رواه أبو عيسى الترمذي^(١٢١)، عن سفيان بن وكيع، عن حفص بن غياث، عن الحجاج، عن مكحول، عن أبي الشمال^[٢]، عن أبي أيوب... فذكره، ثم قال: وهذا أصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو الشمال^[٣].

وقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾، أي: لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه، ليس ذاك إليه، بل إلى الله - عز وجل - يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿لكل أجل كتاب﴾، أي: لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها، وكل شيء عنده بمقدار، ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾، إن ذلك في كتاب، إن ذلك على الله يسير.

وكان الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: ﴿لكل أجل كتاب﴾، أي: لكل كتاب أجل يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدار معين، فلهذا يحو ما يشاء منها ويثبت، يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

= (١٠٣٩٠/٦) عن يحيى بن العلاء عن الحجاج به بلفظ «الختان والسواك والتعطر والنكاح من سنتي» وفيه عننة الحجاج بن أرطاة، والانتقطاع بين مكحول وأبي أيوب، وقد روى موصولاً - وهو الآتي.

(١٢١) - كسابقه «الجامع» للترمذي كتاب: النكاح، باب: ما جاء في فضل التزويج والحث عليه (١٠٨٠) وقال «حديث أبي أيوب حسن غريب»، وأخرجه أيضاً عن محمود بن خدّاش البغدادي ثنا عباد بن العوام عن الحجاج به نحو حديث حفص ومن طريق حفص وعباد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٠٨٥/٤) وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٧٧١٩/٦) من طريق عباد، وأبو الشمال هذا، قال فيه أبو زرعة: لا يعرف إلا بهذا الحديث، ولهذا جهله الحافظان الذهبي وابن حجر، وقد أشار الدارقطني في «العلل» (١٠٢٢/٦) أن الاختلاف في إسناد الحديث من حجاج بن أرطاة لأنه كثير الوهم، وانظر إرواء الغليل للألباني (١١٦/٧٥: ١١٩).

[١] - وقع في المسند: «الحياء» وعند عبد الرزاق: «الختان»، وعند ابن أبي شيبة وعبد بن حميد: «الحناء»، وقال الألباني في «الإرواء» (١١٧/١): «الحياء» بالمشناة التحتية، وكذلك وقع عند الترمذي وأحمد، ووقع عند الحاملي: «الختان» بالمشناة الفوقية ثم نون، وهو الذي جزم بتصويبه الحافظ والعراقي وغيرهما، كما في فيض القدير، ولعله ترجيح من جهة المعنى، وإلا فهناك حديثان آخران باللفظ الأول: الحياء.

[٢] - [٣] - في خ: «السماك».

وقوله: ﴿يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَثْبِتُ﴾، اختلف المفسرون في ذلك، فقال الثوري (١٢٢)، ووكيع، وهشيم، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يدبر أمر السنة، فيمحو ما يشاء، إلا الشقاء والسعادة، والحياة والموت، وفي رواية: ﴿يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَثْبِتُ﴾، [قال: كل شيء] ^[١]، إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة فإنهما قد فرغ منهما.

وقال مجاهد: ﴿يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَثْبِتُ﴾، إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة، فإنهما لا يتغيران.

وقال منصور: سألت مجاهدًا فقلت: أ رأيت دعاءً أحدنا يقول: «اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبتته فيهم، وإن كان في الأشقياء فامحه عنهم» ^[٢] واجعله في السعداء. فقال: حسن. ثم لقيناه ^[٣] بعد ذلك بخول أو أكثر، فسألته عن ذلك، فقال: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين* فيها يفرق كل أمر حكيم﴾، قال يُقضى في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، فأما كتاب الشقاوة والسعادة فهو ثابت لا يُغيّر.

وقال الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة: إنه كان يكثر أن يدعو بهذا الدعاء: «اللهم إن كنت كتبنا أشقياء فامحه» ^[٤] وكتبنا سعداء، وإن كنت كتبنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب». رواه ابن جرير (١٢٣).

(١٢٢) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٨/٢) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٩٧/٢، ١١٢٩) وابن جرير (٢٠٤٦١/١٦ : ٢٠٤٦٦) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٩٧٤/٣) وأخرجه البيهقي في الشعب من طريق عبيد الله بن موسى أنا ابن أبي ليلى به، وابن أبي ليلى: هو محمد بن عبد الرحمن، وهو صدوق سيئ الحفظ جدًا، وزاد نسبته السيوطي (١٢٢/٤) إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم. (١٢٣) - تفسير ابن جرير (٢٠٤٧٧/١٦) حدثنا عمرو قال، حدثنا وكيع قال، حدثنا الأعمش عن أبي وائل قال: كان مما يكثر أن يدعو بهؤلاء الكلمات... فذكر الحديث: قال الشيخ محمود شاكر في حاشية تفسير ابن جرير قوله: «كان يكثر أن يدعو» الضمير في ذلك إلى عبد الله بن مسعود وسأله ابن كثير في تفسيره مسألاً يوم أنه شقيق بن سلمة نفسه الذي كان يكثر أن يدعو، وقد أساء، لأنه هو الذي غير لفظ الخبر «قلت: وقد ورد الخبر أيضًا من كلام شقيق نفسه، فأخرجه ابن جرير (٢٠٤٧٦) وعبد الله في زوائد «الزهد» (ص ٤٢٩) من طريق الأعمش أيضًا قال - سياق عبد الله - سمعت شقيقًا يقول.... فذكره بنحوه وأثر ابن مسعود يأتي برقم (١٢٥، ١٢٦).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ. [٢] - في ابن جرير (٢٠٤٧٢/١٦): منهم. [٣] - في ابن جرير (٢٠٤٧٢/١٦): أتيته. [٤] - في ابن جرير: «فامحنا».

وقال ابن جرير أيضًا ^(١٢٤) : حدثنا عمرو بن عليّ ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن أبي حكيمة عظمة ، عن أبي عثمان النهدي : أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال وهو يطوف بالبيت وهو يبكي : اللهم ، إن كنت كتبت عليّ شقوة أو ذنبًا فامحه ، فإنك تحموا ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة .

وقال حماد ^(١٢٥) : عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن ابن مسعود رضي الله عنه : أنه كان يدعو بهذا الدعاء أيضًا .

ورواه شريك ^(١٢٦) ، عن هلال بن حميد ، عن عبد الله بن عُكَيْم ، عن ابن مسعود بمثله .

وقال ابن جرير ^(١٢٧) : حدثني [المثنى ، حدثنا] ^[١] حجاج ، حدثنا خصاف ^[٢] ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، أن كعبًا قال لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، لولا آية في كتاب الله لأنبأتك بما هو كائن إلى يوم القيامة . قال : وما هي ؟ قال : قول الله تعالى ﴿ يمحو الله ما يشاء ﴾ الآية .

(١٢٤) - إسناده حسن تفسير ابن جرير (٢٠٤٧٨/١٦) وأخرجه أيضًا (٢٠٤٧٩: ٢٠٤٨١) والبخاري في « التاريخ الكبير » (٦٣/٧) والدولابي في « الكنى » (٢١٠/٤) وابن بطّة في « الإبانة » (٢/١٥٦٥) واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (١٢٠٦/٤) من طرق عن أبي حكيمة به وأبو حكيمة هذا وثقه ابن حبان (٢٩٨/٧) ، وقال أبو حاتم « الجرح والتعديل » (٢٠/٧) : « محله الصدق » والأثر عزاه السيوطي في (١٢٣/٤) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، وأفاد الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (٣٦٥٩/٣) أن عبد الله بن أحمد رواه في « كتاب الزهد » لكن موقوفًا على « شعيب » .

(١٢٥) - إسناده فيه انقطاع ، أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٢/١٦) ، والطبراني في « الكبير » (٨٨٤٧/٩) من طريق الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد - وهو ابن سلمة - به وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٨٨/١٠) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا قلابة لم يدرك ابن مسعود » وزاد نسبه السيوطي (١٢٥/٤) إلى ابن المنذر وقد روى بإسناد آخر وهو الآتي :

(١٢٦) - « رجاله ثقات » ، حاشا شريك النخعي ففيه مقال .

والأثر أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٤/١٦) وانظر ما قبله .

(١٢٧) - إسناده ضعيف جدًا تفسير ابن جرير (٢٠٤٨٥/١٦) ، وأبو حمزة هو « ميمون » الأعور الثمار ، صاحب إبراهيم النخعي ضعيف لاسيما في إبراهيم انظر « تهذيب الكمال » (٢٩/٦٣٤٦) .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .

[٢] - كذا وقع ، وفي ابن جرير حماد ، ورجح الشيخ محمود شاكر أن حماد هو الصواب .

ومعنى هذه الأقوال : أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء ، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد^(١٢٨) :

حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان - هو الثوري - عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الله بن أبي الجعد ، عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، ولا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر » .

ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري به .

وثبت في الصحيح^(١٢٩) أن صلة الرحم تزيد في العمر ، وفي حديث آخر^(١٣٠) : « إن [١] الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والأرض » .

(١٢٨) - « المسند » (٢٨٢، ٢٧٧/٥) - ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال » (٣٦٦/١٤) - وأخرجه أحمد أيضًا (٢٨٠/٥) والنسائي في الرقاق من الكبرى - كما في « التحفة » (٢٠٩٣/٢) - وابن ماجه (٤٠٢٢، ٩٠) وابن المبارك في « الزهد » (٨٦) وأبو يعلى في « المعجم » (٢٨٢) وغيرهم من طريق سفيان بهذا الإسناد ، وصححه ابن حبان (٨٧٢/٣) والحاكم (٤٩٣/١) ووافقه الذهبي ، وقال البوصيري في « الزوائد » (٦٢/١) : سألت شيخنا أبا الفضل العراقي رحمه الله عن هذا الحديث . فقال : « حديث حسن » وقال المنذري المنذري في « الترغيب » (٤٨١/٢) : « رواه النسائي بإسناد صحيح ... » قلت : عبد الله بن أبي الجعد لم يوثقه غير ابن حبان (٢٠/٥) وجهله ابن القطان ، وقال الذهبي في « الميزان » (٣/١١٤) : « إن كان قد وثق ففيه جهالة » . وجاء في بعض الروايات سالم بن أبي الجعد ، فإن كان كذلك فالإسناد ضعيف أيضًا لأن فيه انقطاعًا بين سالم وثوبان وإن كان الآخر ففي الإسناد جهالة . وقد أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٤٤٨/٢) من طريق راشد بن سعد عن ثوبان ، لكن في إسناده بشر بن عبيد أبو على الدارسي ، قال ابن عدي : « منكر الحديث عن الأئمة يترى الضعف » لكن للطرف الثاني والثالث شاهد عن سلمان عند الترمذي (٢١٣٩) وحسنه ، وصححه الألباني بشاهد حديث ثوبان في « الصحيحة » (١/١٥٤) .

(١٢٩) - ورد ذلك من حديث أنس بن مالك ، يأتي تخريجه (سورة فاطر / آية ١١) .
(١٣٠) - ورد ذلك من حديث عائشة وأبي هريرة ، أما حديث عائشة فأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣/٢٤٩٨) وفي « الدعاء » (٨٠٠/٢) رقم (٣٣) والبخاري (١٦١٢/٢) - زوائد ابن حجر (وابن عدي في « الكامل » (١٠٦٨/٣) وابن الصياد في « معجم الشيوخ » (ص ١٠٥) . والخطيب في « تاريخ بغداد » (٤٥٣/٨) والحاكم (٤٩٢/١) وقال : « صحيح الإسناد » قلت : في إسناده زكريا بن منظور ضعفه ابن المديني وابن معين والنسائي وأبو حاتم وغيره ، وقال البخاري : منكر الحديث ، ولذا تعقب الذهبي الحاكم فقال : « زكريا مجمع على ضعفه » ، وبه أعله الهيثمي في « المجمع » (٢١٢/٧) ، (١٤٩/١٠) وأورده ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٨٤٣/٢) ، وأما حديث أبي هريرة فأخرجه البخاري أيضًا (٢/٢١٣٧، ١٦١١) ، وفي إسناده إبراهيم بن خثيم بن عراك ، متروك وقد أعله الهيثمي به في « المجمع » .

وقال ابن جرير^(١٣١) : حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا عبد الرزاق ، أنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : إن لله [عز وجل]^[١] لوحًا محفوظًا مسيرة خمسمائة عام ، من درة بيضاء ، لها دفتان من ياقوت - والدفتان لوحان - لله - عز وجل - [كل يوم]^[٢] ثلاثمائة وستون لحظة ، يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .

وقال الليث بن سعد : عن زيادة^[٣] بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « [إن الله]^[٤] يفتح الذكر في ثلاث ساعات يتقين من الليل ، في الساعة الأولى منها ينظر في الذكر الذي لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت » وذكر تمام الحديث ، رواه ابن جرير^(١٣٢) .

وقال الكلبي^(١٣٣) : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ قال : يمحو من الرزق ويزيد فيه ، ويمحو من الأجل ويزيد فيه ، فقليل له : من حدثك بهذا ؟ فقال : أبو صالح ، عن جابر بن عبد الله بن رثاب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم سئل بعد ذلك عن هذه الآية

(١٣١) - تفسير ابن جرير (٢٠٥٠٤/١٦) ورجاله رجال الشيخين ، غير شيخ ابن جرير فمن رجال مسلم ، وفي الإسناد عن ابن جريج والأثر ذكره السيوطي (١٢٢/٤) ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(١٣٢) - إسناده ضعيف جدًا ، تفسير ابن جرير (١٦٩٤٣/١٤) ، (٢٠٥٠٢/١٦) حدثني محمد بن سهل ابن عسكر حدثنا ابن أبي مريم ، ثنا الليث بن سعد به وأخرجه الدارمي في « الرد على الجهمية » (٣٩) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (ص ١٣٥) من طريق سعيد بن أبي مريم به ، وأخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٩٣/٢) - ومن طريقه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٣٩-٣٨/١) - واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٧٥٦/٣) وابن خزيمة من طريق أبي صالح عبد الله بن صالح عن الليث به وأخرجه الدارقطني في « كتاب النزول » (٧٣) وابن خزيمة معلقًا من طريق يحيى بن بكير نا الليث به : قال ابن الجوزي : « هذا الحديث من عمل زيادة بن محمد ، لم يتابعه عليه أحد قال البخاري - « التاريخ الكبير » (٤٤٦/٣) - : هو منكر الحديث ، وقال ابن حبان - « المجروحين » (٣٠٤/١) - : هو منكر الحديث جدًا ، يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك » وبه أعلمه الذهبي في « الميزان » (٢٨٨/٢) - فذكر الحديث بطلوه وقال . « هذه ألفاظ منكرة لم يأت بها غير زيادة » وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤١٥/١٠) وقال : « رواه البزار وفيه زيادة بن محمد وهو ضعيف » وعزاه السيوطي (١٢٢/٤) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني .

(١٣٣) - إسناده ضعيف جدًا ، أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٧/١٦) ، وابن سعد في « الطبقات » (٢/٣) (١١٤) مختصرًا والحاثر بن أبي أسامة في مسنده (٧١٦-زوائد) والكلبي - وهو محمد بن السائب - النسابة المفسر، متهم بالكذب ورمي بالرفض ، وزاد نسبته السيوطي (١٢٣/٤) إلى ابن مردويه .

[٢] - سقط من : خ .

[١] - سقط من : ت .

[٤] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « زياد » .

فقال : يكتب القول كله ، حتى إذا كان يوم الخميس ، طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عليه^[١] عقاب ، مثل قولك : أكلت وشربت ودخلت وخرجت ، ونحو ذلك من الكلام وهو صادق ، ويثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب .

وقال عكرمة^(١٣٤) ، عن ابن عباس : الكتاب كتابان ؛ فكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .

وقال العوفي^(١٣٥) ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ يقول : هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ، ثم يعود لمعصية الله ، فيموت على ضلاله فهو الذي يمحو ، والذي يثبت الرجل يعمل بمعصية الله ، وقد كان سبق له خير ، حتى يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت .

وروي عن سعيد بن جبير أنها بمعنى ﴿ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس^(١٣٦) : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ يقول : يبدل ما يشاء فينسخه ، ويثبت ما يشاء فلا يبدله . ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ وجملة ذلك عنده في أم الكتاب ، الناسخ والمنسوخ^[٢] ، وما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب .
وقال قتادة في قوله : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ كقوله : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ﴾ الآية .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ قال : قالت كفار قريش حين أنزلت ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴾ ما نرى محمدًا يملك [من شيء ولقد]^[٣] فرغ من الأمر ، فأنزلت هذه الآية تخويفًا ووعيدًا لهم : إنا إن

(١٣٤) - صحيح ، أخرجه ابن جرير (٢٠٤٧٣/١٦) والحاكم (٣٤٩/٢) من طريق حماد بن سلمة عن سليمان التيمي عن عكرمة به وقال الحاكم : « احتج مسلم بحماد واحتج البخاري بعكرمة وهو غريب صحيح من حديث سليمان التيمي » ووافقه الذهبي وزاد نسبه السيوطي (١٢٢/٤) إلى محمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٣٥) - أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٣/٢٦) ، والعوفي ضعيف ، وزاد نسبه السيوطي (١٢٢/٤) إلى ابن أبي حاتم .

(١٣٦) - أخرجه ابن جرير (٢٠٤٨٩/١٦) وزاد نسبه السيوطي (١٢٥/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم =

[١] - زيادة من ابن جرير .

[٣] - في ت : « شيئًا وقد » .

[٢] - سقط من : خ .

شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا ، ونحدث في كل رمضان ، فمحو ما نشاء ونثبت ما نشاء ، من أرزاق الناس ومصائبهم وما نعطيهم وما نقسم لهم .

وقال الحسن البصري : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ قال : من جاء أجله فذهب ، ويثبت الذي هو حي يجري إلى أجله .

وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رحمه الله .

وقوله ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ قال : الحلال والحرام .

وقال [١] قتادة : أي جملة الكتاب وأصله .

وقال الضحاك : ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ قال : كتاب عند رب العالمين .

وقال سنيد بن داود (١٣٧) : حدثني معتمر ، عن أبيه ، عن سيار [٢] ، عن ابن عباس : أنه سأل كعباً عن أم الكتاب فقال : علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون ، [ثم قال] [٣] .

[قال] ابن (١٣٨) جريج : قال ابن عباس : ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ قال : الذكر .

وَإِنْ مَا نُزِنَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا

الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ

لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾

= والبيهقي في « المدخل » .

(١٣٧) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥١٦/١٦) وسيار هو القرشي الأموي مولى معاوية بن أبي سفيان ويقال : مولى خالد بن يزيد بن معاوية وثقه ابن حبان (٣٣٥/٤) وروى عنه أكثر من واحد ، وفي « التقریب » صدوق لكن سنيد بن داود واسمه حسين وسنيد لقب - ضَعُفَ مع إمامته ومعرفة ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٨/٢) وعن معتمر - هو ابن سليمان التيمي - عن أبيه قال : سئل ابن عباس عن أم الكتاب ، فقال : قال كعب فذكره ، سليمان التيمي لم يسمع من ابن عباس .

(١٣٨) - منقطع ، أخرجه ابن جرير (٢٠٥١٣/١٦) حديث القاسم قال حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج - قال أبو جعفر : لا أدري فيه ابن جريج أم لا - قال ، قال ابن عباس فذكره .

[٢] - في خ : « يسار » .

[١] - في خ : « قال » .

[٣] - في خ : « فقال » .

يقول تعالى لرسوله ﴿ وَإِنَّمَا نَرْبِّكَ ﴾ يا محمد بعض الذي نعد^[١] أعداءك من الخزي^[٢] والنكال في الدنيا ﴿ أَوْ نَتُوفِينِكَ ﴾ أي : قبل ذلك ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ أي : إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد بلغت^[٣] ما أمرت به ﴿ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ أي : حسابهم وجزاؤهم ، [كقوله تعالى]^[٤] : ﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴾ لست عليهم بمسيطر * إلا من تولى وكفر * فيعذبه الله العذاب الأكبر * إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم ﴿ .

وقوله : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قال ابن عباس (١٣٩) : أو لم يروا أنا نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم الأرض بعد الأرض .

وقال في رواية (١٤٠) : أو لم يروا إلى القرية تخرب حتى يكون العُمران في ناحية .

وقال مجاهد وعكرمة ﴿ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قال : خرابها .

وقال الحسن والضحاك : هو ظهور المسلمين على المشركين .

وقال العوفي (١٤١) ، عن ابن عباس : نقصان أهلها وبركتها .

وقال مجاهد : نقصان الأنفس والثمرات وخراب الأرض .

وقال الشعبي : لو كانت الأرض تُنْقَصُ لضاق عليك حُشْكُ ، ولكن تُنْقَصُ الأنفس والثمرات . وكذا قال عكرمة : لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكاناً تقعد فيه ولكن هو الموت .

وقال ابن عباس في رواية (١٤٢) : خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها . وكذا

(١٣٩) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥١٤/١٦) بإسناد صحيح عنه وأخرجه بنحوه أيضاً (٢٠٥١٥) لكن من طريق عطية العوفي عنه ، وعطية ضعيف .

(١٤٠) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥١٩/١٦) ، وفي إسناده علي بن عاصم بن صهيب الواسطي ، صدوق يخطئ ويصيب ورمي بالتشيع ، وزاد نسبه السيوطي (١٢٧/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٤١) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥٢٣/١٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به ، وزاد نسبه السيوطي (١٢٧/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، فلعله عند أحدهما أو كليهما من هذا الطريق والله تعالى أعلم .

(١٤٢) - إسناده ضعيف جداً ، أخرجه ابن جرير (٢٠٥٣٣/١٦) والحاكم (٣٥٠/٢) وصححه والخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (١٥٥، ١٥٤) من طريق طلحة بن عمرو عن عطاء عنه به وطلحة هذا ضعفه جماعة وقال البخاري : « ليس بشيء » وتركه أحمد والنسائي ، ولذا تعقب الذهبي الحاكم فقال : =

[١] - في خ : « نعدهم أي بعد » .

[٢] - في خ : « الحزن » .

[٣] - في ت : « فعلت » .

قال مجاهد أيضًا : هو موت العلماء .

وفي هذا المعنى روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد العزيز ، أبي القاسم المصري الواعظ ، سكن أصبهان : حدثنا أبو محمد طلحة بن أسد المرثي^[١] بدمشق ، أنشدنا أبو بكر الآجري بمكة ، قال أنشدنا أحمد بن غزال لنفسه .

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها متى يميت عالم منها يميت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبى عاد في أكنافها التلف
والقول الأول أولى وهو ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية ، [كقوله : ﴿ ولقد
أهلكتنا ما حولكم من القرى ﴾ الآية ، وهذا اختيار ابن جرير]^[٢] .

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ

الْكَافِرُ لِمَنْ عَقَّبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى : ﴿ وقد مكر الذين من قبلهم ﴾ يرسلهم ، وأرادوا إخراجهم من بلادهم ، فمكر الله بهم ، وجعل العاقبة للمتقين ، كقوله^[٣] : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ ، [وقوله تعالى]^[٤] : ﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ﴾ فانظر كيف كان عاقبة [مكمرهم أنا]^[٥] دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴾ الآيتين^[٦] .

وقوله : ﴿ يعلم ما تكسب كل نفس ﴾ أي : أنه تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر ، وسيجزى كل عامل بعمله (وسيعلم الكافر) والقراءة الأخرى ﴿ الكفار ﴾ ﴿ لمن عقبى

= « طلحة بن عمرو ، قال أحمد : متروك » ، وقد اضطرب فيه ، فرواه عن عطاء لم ينم به إلى ابن عباس ، أخرجه وكيع في « الزهد » (٣٩) ومن طريقه ابن عبد البر في « التمهيد » (١٠٣٠/١) ، لكن أخرجه أبو نعيم في « أخبار أصبهان » (٣٣٢/١) من طريق إسماعيل بن عياش عن سلمة بن كلثوم عن عطاء به وسلمة صدوق ، شامي ورواية إسماعيل عن أهل بلده من الشاميين صحيحة وأثر ابن عباس زاد نسبته السيوطي (٤/ ١٢٦) إلى عبد الرزاق - ولم أجده في تفسيره - وابن أبي شيبه ونعيم بن حماد في « الفتن » ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأثر مجاهد أخرجه عبد الرزاق (٣٣٩/٢) ووکیع (٣٨) - ولفظة وكيع « الموت » دون تقييده وابن جرير (٢٠٥٣٤) وإسناده صحيح إلى مجاهد .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .

[١] - في ز : المدني

[٤] - في خ : « وقال تعالى » .

[٣] - في خ : « كما قال تعالى » .

[٦] - في ز ، خ : « الآية » .

[٥] - في خ : « الذين من قبلهم » .

الدار ﴿ لمن تكون الدائرة والعاقبة ، لهم أو لأتباع الرسل ؟ كلا ، بل هي لأتباع الرسل في الدنيا والآخرة ، ولله الحمد والمنة .

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى : يكذبك هؤلاء الكفار ويقولون ﴿ لست مرسلًا ﴾ أي : ما أرسلك الله ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ﴾ أي : حسبي الله وهو الشاهد علي وعليكم ، شاهد علي فيما بلغت عنه من الرسالة ، وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان .

وقوله : ﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ قيل : نزلت في عبد الله بن سلام . قاله مجاهد .

وهذا القول غريب ؛ لأن هذه الآية مكية وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، والأظهر في هذا ما قاله العوفي ^(١٤٣) ، عن ابن عباس قال : هم من اليهود والنصارى .

وقال قتادة : منهم ابن سلام وسلمان وتميم الداري .

وقال مجاهد في رواية عنه : هو الله تعالى .

وكان سعيد بن جبير ينكر أن يكون المراد بها عبد الله بن سلام ، ويقول : هي مكية ، وكان يقرؤها (ومن عنده علم الكتاب) ويقول : من عند الله .

وكذا قرأها مجاهد والحسن البصري . وقد روى ابن جرير ^(١٤٤) : من حديث هارون الأعور ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قرأها ﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ . ثم قال : لا أصل له من حديث الزهري عند الثقات .

قلت : وقد رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده ^(١٤٥) : من طريق هارون بن موسى ^[١] هذا ،

(١٤٣) - أخرجه ابن جرير (٢٠٥٣٧/١٦) .

(١٤٤) - إسناده ضعيف منقطع تفسير ابن جرير (٢٠٥٥٨/١٦) حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال ، حدثني عباد بن العوام عن هارون الأعور به و « هارون الأعور » وهو « هارون بن موسى الأزدي العتكي » ثقة إلا أنه لم يسمع من الزهري والحسين هو ابن داود المعروف بـ « سنيد » ضعف مع إمامته ومعرفة ، ولذا قال ابن جرير « في إسناده نظر » ، وهذا خبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري « وانظر ما بعده .

(١٤٥) - إسناده ضعيف جداً مسند أبي يعلى (٥٥٧٤/٩) حدثنا روح بن عبد المؤمن ، حدثنا =

[١] - كذا ولعله سهو أو خطأ ؛ فإن أبا يعلى إنما أخرجه من طريق « عبد الرحيم بن موسى » كما في المسند =

عن سليمان بن أرقم وهو ضعيف ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه مرفوعًا كذلك ولا يثبت والله أعلم .

والصحيح في هذا أن ﴿ ومن عنده ﴾ اسم جنس يشمل^[١] علماء أهل الكتاب ، الذين يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به ، كما قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾ الآية . وأمثال ذلك مما فيه من الإخبار عن علماء بني إسرائيل أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة . وقد ورد في حديث الأخبار عن عبد الله بن سلام بأنه أسلم بمكة قبل الهجرة . قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب « دلائل النبوة »^(١٤٦) وهو كتاب جليل :

حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني ، حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا محمد بن مصفى ، حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، عن جده^[٢] عبد الله بن سلام : [أنه قال لأخبار^[٣] اليهود : إني أردت أن أجدد^[٤] بمسجد أبينا إبراهيم وإسماعيل عيدًا^[٥]] ، فانطلق إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

= عبد الرحيم بن موسى به وأخرجه تمام في فوائده ، (١٣٨٣/٤ - الروض البسام) من طريق محمد بن الحسن عن سليمان بن أرقم به ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٢٢٧٨/٦) من طريق سليمان بن أرقم عن نافع عن ابن عمر عن عمر فذكره ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٥٨/٧) « رواه أبو يعلى وفيه سليمان بن أرقم وهو متروك » ، وضعف إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (١٢٩/٤) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(١٤٦) - ضعيف « دلائل النبوة » لأبي نعيم (ص ٣٠٠) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٤٩/٧ - ١٥٠) ، (٢٤٥/٨ - ٢٤٦/٨) ، (٣٢٩/٩) ، وقال : « رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أن حمزة لم يدرك جده عبد الله ابن سلام » قلت : والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن ، وعزاه السيوطي في « المنثور » (٧٠٥/٤) إلى ابن أبي حاتم والطبراني وأبي نعيم في « الحلية » ، والحمد لله بنعمته تتم الصالحات .

= وقال البوصيري - كما في حاشية « المطالب العالية » (٣/ ٣٦٦٠) : « رواه أبو يعلى بسند ضعيف لضعف عبد الرحيم بن موسى » .

قلت : وعبد الرحيم هذا قال فيه أبو حاتم : « مجهول » . الجرح والتعديل (٣٤١/٥) ، وتبعه الذهبي في « المغني » (٢/ ٣٦٨٠) .

[١] - في خ : « شمل » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « قال الأخبار » .

[٤] - في ز : أحدث .

[٥] - في دلائل النبوة : عهدًا .

وهو بمكة فوافاهم وقد انصرفوا من الحج ، فوجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بمنى والناس حوله فقام مع الناس ، فلما نظر إليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « أنت عبد الله بن سلام ؟ » قال : قلت : نعم . قال : « ادن » قال : فدنوت منه قال : « أنشدك بالله يا عبد الله بن سلام ، أما تجدني في التوراة رسول الله ؟ » فقلت له : انعت ربنا . قال : فجاء جبريل حتى وقف بين يدي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ إلى آخرها ، فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، ثم انصرف ابن سلام إلى المدينة فكنتم إسلامه ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأنا فوق نخلة لي أجدّها ، فألقيت نفسي ، فقالت أمي : لله^[١] أنت ، لو كان موسى بن عمران ما كان لك^[٢] أن تلقي نفسك من رأس^[٣] النخلة . فقلت : والله لأنا أسر بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من موسى بن عمران إذ بعث .

وهذا حديث^[٤] غريب جدًا .

[آخر تفسير سورة الرعد ولله الحمد]^[٥]



[١] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : نفس .

[٤] - سقط من : ت .

[٢] - في دلائل النبوة : ثم لك .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من : ت